

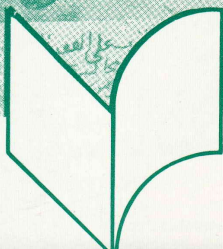
تراشنا

فترة فضل نصدها

مؤسسة آل البيت عليه السلام لأبحاث وإحياء التراث

العددان الثاني والثالث [٣٥ و ٣٦]

السنة التاسعة / ربيع الآخر - رمضان ١٤١٤ هـ.



تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت - عليهم السلام - لإحياء التراث

- * الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحققين والباحثين والمعتنين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام .
- * الآراء المنشورة لا تعبر عن رأي النشرة بالضرورة .
- * ترتيب المواضيع يخضع لأمر فنية، وليس لأي أمر آخر .
- * النشرة غير ملزمة بنشر كل ما يصل إليها .

المراسلات :

تعنون بأسم : هيئة التحرير

بشر العبد - مقابل بنك بيروت والبلاد العربية

ص.ب. ٢٤/٣٤ - بيروت - لبنان .

هاتف ٨٢٠٨٤٣ - تليكس : ٤٠٥١٢ .

تراثنا .

العددان الثاني والثالث [٣٥ و ٣٦] السنة التاسعة / ربيع الآخر - رمضان ١٤١٤ هـ .

الإعداد والنشر : مؤسسة آل البيت - عليهم السلام - لإحياء التراث .

الكمية : ١٠٠٠ نسخة .

قيمة الاشتراك السنوي في نشرة «تراثنا» ١٥ دولاراً أمريكياً داخل لبنان، و ٢٥ دولاراً في بقية أنحاء العالم . بضمنها أجور البريد المضمون .

الرَّزْءُ عَلَى
الْوَهَّابِ بَيْتًا

تَأْلِيفُ

الْعَلَّامَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الْشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْبَيْهَقِيِّ

(١٢٨٢ - ١٣٥٢ هـ)

مُتَحَقِّقُ

السَّيِّدِ مُحَمَّدِ عَلِيِّ الْحَاكِمِ

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، لا سيّما بقيّة الله في الأرضين، عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وبعد :

فمنذ ظهور الفرقة الضالّة المضلّة (الوهابية) وحتىّ أيّامنا هذه انبرى علماء الإسلام على مختلف مذاهبهم، فكتبوا في ردّهم ودحض أباطيلهم وشبهاتهم كتباً ورسائل كثيرة^(١)، كان فيها الردّ الحاسم القاطع في وجه الوهابية، فأنحصر وجودهم في مهد ظهورهم أرض الحجاز.

(١) انظر مقال: «معجم ما ألفه علماء الأئمة الإسلامية للردّ على خرافات الدعوة الوهابية» للسيد عبدالله محمّد عليّ، المنشور في مجلّة «تراثاء العدد ١٧، شوال ١٤٠٩ هـ، ص ١٤٦ - ١٧٨، فقد أحصى فيه أكثر من ٢٠٠ كتاب ورسالة في الردّ على الوهابية، لعلماء المذاهب الإسلامية المختلفة.

وما استمرَّ وجود الوهابية في أرض الحجاز إلّا بقوة الحديد والنار، إذ لم يستطيعوا أن يقارعوا الآخرين بالحجّة والبرهان .

إلّا أنّ نشاطها الهدّام ونفث سمومها وأباطيلها وشبهاتها لا يزال مستمرّاً، ممّا اقتضى أن نقوم بإحياء رسالة في الردّ عليهم، لفطchl من فطاحل علماء الإمامية الماضين، رضوان الله عليهم أجمعين، ألا وهو: العلامة المجاهد، آية الله العظمى، الشيخ محمّد جواد البلاغي، قدّس سرّه الشريف .

ترجمة المؤلّف^(٢)

نسبه :

هو الشيخ محمّد جواد بن حسن بن طالب بن عبّاس بن إبراهيم بن حسين بن عبّاس بن حسن^(٣) بن عبّاس بن محمّد عليّ بن محمّد البلاغي النجفي الربيعي^(٤) .

مولده :

وُلد في النجف الأشرف سنة ١٢٨٢ هـ في بيت من أقدم بيوتاتها وأعرقها في العلم والفضل والأدب، والمشهورة بالتقوى والصلاح والساداد، فقد أنجبت

(٢) اقتبست هذه الترجمة - بتصرّف - ملفّة من بين عدّة مصادر، أهمّها :

أعيان الشيعة ٢٥٥/٤ - ٢٦٢، شعراء الغريّ ٤٣٦/٢ - ٤٥٨، نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٣٢٣/١ - ٣٢٦، الكنى والألقاب ٨٣/٢ و٨٤، مقدّمة الهدى إلى دين المصطفى ٦/١ - ٢٠، معارف الرجال ١٩٦/١ - ٢٠٠، ريحانة الأدب ١٧٩/١، ماضي النجف وحاضرها ٦١/٢ - ٦٦، ديوان السيّد رضا الهندي : ١٢٥ و١٢٧، مجلّة رسالة القرآن / العدد العاشر / ١٤١٣ هـ : ٧١ - ١٠٤ .

(٣) صاحب كتاب «تنقيح المقال» في الأصول والرجال . [الذريعة ٤/٤٦٦ رقم ٢٠٦٩] .

(٤) نسبة إلى قبيلة ربيعة المشهورة .

هذه الأسرة - آل البلاغي - عدّة من رجال العلم والدين والأدب وإن اختلفت مراتبهم .

نشأته :

نشأ حيث وُلد، وأخذ المقدمات عن أعلامها الأفاضل، ثم سافر إلى الكاظمية سنة ١٣٠٦ هـ وتزوَّج هناك من ابنة السيّد موسى الجزائري الكاظمي . عاد إلى النجف الأشرف سنة ١٣١٢ هـ فحضر على الشيخ محمّد طه نجف والشيخ آقا رضا الهمداني والشيخ الآخوند محمّد كاظم الخراساني والسيّد محمّد الهندي .

هاجر إلى سامراء سنة ١٣٢٦ هـ فحضر على الميرزا محمّد تقى الشيرازي - زعيم الثورة العراقية - عشر سنين، وألّف هناك عدّة كتب، وغادرها - عند احتلالها من قبل الجيش الإنكليزي - إلى الكاظمية فمكث بها سنتين مؤازراً للعلماء في الدعاية للثورة ومحرّضاً لهم على طلب الاستقلال .

ثم عاد إلى النجف الأشرف وواصل نشاطه في التأليف، فكان من أوّلئك النُدرة الأُفذاذ الذين أوقفوا حياتهم وكرّسوا أوقاتهم لخدمة الدين والحقيقة، فلم يُرَ إلّا وهو يجيب عن سؤال، أو يحرّر رسالة يكشف فيها ما التبس على المرسل من شكّ، أو يكتب في أحد مؤلفاته .

وقد وقف بوجه النصاريّ وأمام تيّار الغرب الجارف، فمثّل لهم سموّ الإسلام على جميع الملل والأديان حتّى أصبح له الشأن العظيم والمكانة المرموقة بين علماء النصاريّ وفضلائها .

كما تصدّى للفرق المنحرفة الهدامة الأخرى - كالبابية والقاديانية والوهابية والإلحادية . . وغيرها - فكتب في ردّهم ودحض شبهاتهم، وفضح توافه مبانيهم ومعايب أفكارهم عدّة كتب ورسائل قيّمة .

وقد كان من خلوص النية وإخلاص العمل بمكان حتّى أنّه كان لا يرضى

أن يوضع اسمه على تأليفه عند طبعها، وكان يقول: «إني لا أقصد إلا الدفاع عن الحق، لا فرق عندي بين أن يكون بأسمي أو أسم غيري».

حتى أن يوسف إليان سركيس في كتابه: «معجم المطبوعات» ذكر كتاب «الهدى إلى دين المصطفى» لشيخنا البلاغي - رضوان الله عليه - في آخر الجزء الثاني ضمن الكتب المجهولة المؤلف^(٥)، وربما كان - قدس سره - يذيل بعضها بأسماء مستعارة ك: كاتب الهدى النجفي، وعبدالله العربي، وغيرها.

ومع كل ذلك أصبح اسمه نارا على علم، وبلغت شهرته أفاصي البلاد، وذلك لما عالجه من المعضلات العلمية والمناقشات الدينية، حتى أن أعلام أوربا كانوا يفزعون إليه في المسائل العويصة، كما تُرجمت بعض مؤلفاته إلى الإنكليزية للاستفادة من مضامينها الراقية.

كان يجيد اللغات العبرانية والفارسية والإنكليزية - بعد لغته الأم العربية - ولذلك برع في الرد على أهل الكتاب ودحض أباطيلهم وكشف خفايا دسائسهم.

كما كان متواضعا للغاية، يقضي حاجاته بنفسه، ويختلف إلى الأسواق بشخصه لا بتياع ما يلزم أهله، وكان يحمله إليهم بنفسه ويعتذر لمن يروم مساعدته بحمله عنه فيقول له: «رب العيال أولي بعياله».

وكان يقيم صلاة الجماعة في المسجد القريب من داره، فيأتم به أفاضل الناس وخيارهم، وبعد الفراغ من الصلاة كان يدرس كتابه «آلاء الرحمن». كان لين العريكة، خفيف الروح، منبسط الكف، لا يمزج ولا يحب أن يمزج أحد أمامه، تبدو عليه هيبة الأبرار وتقرأ على أساريه صفات أهل التقى والصلاح.

له في سيد الشهداء الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام عقيدة

راسخة، وحبّ ثابت، فكم له أمام المناوئين للإمام الحسين عليه السلام من مواقف مشهودة، ولولاه لأمات المعاندون الشعائر الحسينية والمجالس العزائية، ولكنّه تمسّك بها والتزم بشعائرها وقام بها خير قيام.

فكان هذا العلامة البطل - عليّ شيخوخته وضعفه وعجزه - يمشي حافياً أمام الحشد المتجمهر للعزاء، قد حلّ أزراره ويضرب عليّ صدره، وخلفه اللطم والأعلام، وأمامه الضرب بالطليل.

ومن آثاره الباقية :

إقلمة المآتم في يوم عاشوراء في كربلاء، فهو أوّل من أقامه هناك، وعنه أخذ حتّى تُوسّع فيه ووصل إلى ما هو عليه اليوم.

وكذا تحريض علماء الدين وإثارة الرأي العامّ ضدّ البهائية في بغداد، وإقامة الدعوى في المحاكم لمنع تصرّفهم في الملك الذي استولوا عليه - في محلّة الشيخ بشار في الكرخ - وآتخذوه حظيرة لهم لإقامة شعائر الطاغوت، وقضت المحاكم بنزعه منهم، وآتخذ - رضوان الله عليه - مسجداً تقام فيه الصلوات الخمس والمآتم الحسينية في ذكرى الطفّ وشعائر أهل البيت عليهم السلام.

أقوال العلماء والأدباء فيه :

قال السيّد محسن الأمين العاملي : «كان عالماً فاضلاً، أديباً شاعراً، حسن العشرة، سخيّ النفس، صرف عمره في طلب العلم وفي التأليف والتصنيف، وصنّف عدّة تصانيف في الردود، صاحبناه في النجف الأشرف أيام إقامتنا فيها ورغب في صحبة العاملين فصاحبناه، وخالطناه حضراً وسفراً عدّة سنين إلى وقت هجرتنا من النجف فلم نر منه إلّا كلّ خلق حسن وتقوى وعبادة وكلّ صفة تحمد، وجرت بيننا وبينه بعد خروجنا من النجف مراسلات

ومحاورات شعرية ومكاتبات في مسائل علمية»^(٦).

وقال الشيخ عباس القمي: «بطل العلم الشيخ محمد الجواد... ولقد كان - رحمه الله تعالى - ضعيفاً ناكل الجسم، تفانت قواه في المجاهدات، وكان في آخر أمره مكباً على تفسير القرآن المجيد بكل جهد أكيد»^(٧).

وقال الشيخ آقا بزرگ الطهراني: «كان أحد مفاخر العصر علماً وعملاً... وكان من أولئك الأفاضل النادرين الذين أوقفوا حياتهم وكرّسوا أوقاتهم لخدمة الدين الحنيف والحقيقة... فهو أحد نماذج السلف التي ندر وجودها في هذا الزمن»^(٨).

وقال الشيخ محمد حرز الدين: «عالم فقيه كاتب، وأديب شاعر، بختاة أهل عصره، خدم الشريعة المقدسة، ودين الإسلام الحنيف، بل خدم الإنسانية كاملة بقلمه ولسانه وكل قواه»^(٩).

وقال الميرزا محمد علي التبريزي المدرّس: «فقيه أصولي، حكيم متكلم، عالم جامع، محدّث بارع، ركن ركبن لعلماء الإمامية، وحصن حصين للحوزة الإسلامية، ومروّج للعلوم القرآنية، وكاشف الحقائق الدينية، وحافظ للنواميس الشرعية، ومن مفاخر الشيعة»^(١٠).

وقال الملا علي الواعظ الخياباني التبريزي: «هو العَلَم الفرد العلامة، المجاهد، آية الله، وجه فلاسفة الشرق، وصدر من صدور علماء الإسلام، فقيه أصولي، حكيم متكلم، محدّث محقق، فيلسوف بارع، وكتبه الدينية هي التي أبهجت الشرق وزلزلت الغرب وأقامت عمد الدين الحنيف، فهو حامية

(٦) أعيان الشيعة ٢٥٥/٤.

(٧) الكنى والألقاب ٨٣/٢ - ٨٤.

(٨) نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٣٢٣/١.

(٩) معارف الرجال ١٩٦/١.

(١٠) ربحانة الأدب ١٧٩/١.

الإسلام، وداعية القرن، رجل البحث والتنقيب، والبطل المناضل، والشهم الحكيم»^(١١).

وقال الشيخ جعفر النقدي: «عالم عيلم مُهذَّب، وفاصل كامل مذرَّب، وآباؤه كلَّهم من أهل العلم»^(١٢).

وقال الأستاذ علي الخاقاني: «من أشهر مشاهير علماء عصره، مؤلف كبير، وشاعر مجيد... أغنتنا آثاره العلمية عن التنويه بعظمته وعلمه الجَمِّ وآرائه الجديدة المبتكرة، فلقد سدَّ شاغراً كبيراً في المكتبة العربية الإسلامية بما أسداه من فضل فيما قام به من معالجة كثير من المشاكل العلميَّة والمناقشات الدينيَّة، وتوضيح التوحيد ودعمه بالآراء الحكيمه قبال الثالوث الذي هذَّه بآثاره وقلمه السيال... كان عظيماً في جميع سيرته، فقد ترفعَّ عن دَرَن المادَّة، وتردَّى بالمُثل العالية التي أوصلته في الحياة - ولا شكَّ بعد الممات - أرفع الدرجات... وقد حضرتُ^(١٣) مع من حضر برهة من الزمن فإذا به بحر خضمَّ لا ساحل له، يستوعب الخاطرة، ويحوم حول الهدف، ويصوِّر الموضوع تصويراً قوياً... كانت حياته مليئة بالمفاخر والخدمات الصادقة»^(١٤).

وقال الشيخ جعفر باقر آل محبوبة: «ركن الشيعة وعمادها، وعزَّ الشريعة وسنادها، صاحب القلم الذي سبج في بحر العلوم الناهل من موارد المعقول والمنقول؛ كم من صحيفة حَبَّرَها، وألوكة حرَّرها، وهو بما حَبَّرَ فضح الحاخام والشمَّاس، وبما حرَّرَ ملك رُقَّ الرهبان والأقساس، كان مجاهداً بقلمه طيلة عمره، وقد أوقف حياته في الذبِّ عن الدين، ودحض شبه المادَّيين والطبَّيعيين؛ فهو جُنَّة حصينة، ودرع رصينة، له بقلمه مواقف فلت جيوش

(١١) علماء معاصرين: ١٦٢ - ١٦٣.

(١٢) شعراء الغري ٢/ ٤٣٧.

(١٣) أي: درسه في تفسير القرآن الكريم من كتابه «آلاء الرحمن».

(١٤) شعراء الغري ٢/ ٤٣٧ - ٤٣٩.

الإلحاد، وشتّت جيوش العادين على الإسلام والطاعنين فيه... حضرت بعض دروسه واستفدت منه مدّة، كان نحيف البدن، واهي القوى، يتكلّف الكلام، ويعجز في أكثر الأحيان عن البيان، فهو بقلمه سبحانه الكتابة، عنده أسهل من الخطابة»^(١٥).

وقال المحامي توفيق الفكيكي: «كان - رحمه الله تعالى - داعي دعاة الفضيلة، ومؤسس المدرسة السيّارة للهداية والإرشاد وتنوير الأفكار بأصول العلم والحكمة وفلسفة الوجود، فقد أفطمت جوانحه على معارف جمّة، ووسّع صدره كنوزاً من ثمرات الثقافة الإسلامية العالية والتربية الغالية، وقد نهّل وعبّ من مشارع المعرفة والحكمة الصافية حتّى أصبح ملاذ الحائدين الذين استهوتهم أهواء المنحرفين عن المحجّة البيضاء، وخدعتهم ضلالات الدّهريّين والمادّيّين...»

ومن ملامحه ومخائله الدالّة على كماله النفسي هي: فطرته السليمة، وسلامة سلوكه الخلقي والاجتماعي، وحّدّة ذكائه، وقوّة فطنته، وعقّة نفسه، ورفعة تواضعه، وصون لسانه عن الفضول، ولين عريكته، ورقة حاشيته، وخفّة روحه، وأدبه الجمّ، وعدوبة منطقته، وفيض يده على عسره وشظف عيشه»^(١٦). وقال عمر رضا كحّالة: «فقيه، متكلم، أديب، شاعر»^(١٧).

وقال خير الدين الزركلي: «باحث إمامي، من علماء النجف في العراق، من آل البلاغي، وهم أسرة نجفيّة كبيرة، له تصانيف... وكان يُجيد الفارسية، ويُحسن الإنجليزية، وله مشاركة في حركة العراق الاستقلالية وثورة عام ١٩٢٠ م»^(١٨).

(١٥) ماضي النجف وحاضرها ٦٢/٢.

(١٦) مقدّمة الهدى إلى دين المصطفى ٧/١.

(١٧) معجم المؤلّفين ١٦٤/٣.

(١٨) الأعلام ٧٤/٦.

فمن كانت هذه مآثره وصفاته وسجايه فجدير بمتخصّصينا أن يقوموا بدراسة هذه الشخصية الجليلة وآثارها القيّمة، فهو أحد نماذج السلف التي ندر وجودها في هذا الزمن، وهو نور من الأنوار التي يُهتدى بها في ظلمات الشك والحيرة، وهو بحق من مشاهير علماء الإمامية، علامة جليل، ومجاهد كبير، ومؤلف أكثر خبير.

شعره:

كان - قدّس سرّه - مع عظيم مكانته في العلم وتفقّحه في الدين أديباً كبيراً وشاعراً مبدعاً، من فحول الشعراء، له نظم رائق سلس متين، تزخر أشعاره بالعواطف الوجدانية، والمشاعر الإنسانية، والتأملات الروحية، وأكثر شعره كان في مدح أهل البيت عليهم السلام وورثاتهم، وبقيّته في تهنئة خليل، أو رثاء عالم جليل، أو في حالة الحنين إلى الأخلاء يحتمه عليه واجب الوفاء، أو في الدفاع عن رأي علمي، أو شرح عقيدة أو فكرة فلسفية بطريقة المعارضة الشعرية. فمما قال في قصيدة في ذكرى مولد الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، قوله:

حَيِّ شَعْبَانَ فَهُوَ شَهْرُ سُعُودِي	وَعَدُّ وَضَلِي فِيهِ وَلِيلَةُ عِيدِي
مِنْهُ حَيَا ^(١٩) الصَّبِّ الْمَشُوقِ، شَذَا الْمِيلَادِ فِيهِ وَنَهْجَةُ الْمَوْلُودِ	بَهْجَةُ الْمُرتَضَى وَقُرَّةُ عَيْنِ الْمُدِّ
رَحْمَةُ اللَّهِ غَوْثُهُ فِي الْوَرَى شَمُّ	صُطْفَى، بَلْ دَخِيرَةُ التَّوْحِيدِ
وَهَوَى خَاطِرِي وَشَائِقُ نَفْسِي	سُ هُدَاهُ وَظِلُّهُ الْمَمْدُودِ
فَانْجَلَتْ كُرْبَتِي وَأَزْهَرَ رَوْضِي	وَمُنَاهَا وَعْدَتِي وَعَدِيدِي
	وَنَمَتْ نَبْعَتِي وَأَوْرَقَ عُودِي

(١٩) أصله: حياء، وحُذفت الهمزة للضرورة.

طَلَبَ فَخَرًا يَا لَيْلَةَ النُّصْفِ مِنْ شَعْبِ بَانَ بِيضَ الْأَيَّامِ بِالتَّسْرِيدِ

وله من قصيدة في ذكرى مولد الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام
في الثالث من شعبان :

شعبان كم نِعَمْتَ عَيْنُ الْهُدَى فِيهِ وَأَشْرَقَ الدِّينُ مِنْ أَنْوَارِ ثَالِثِهِ
وَأَرْتَسَحَ بِالسَّبْطِ قَلْبُ الْمُصْطَفَى فَرَحًا رَأَى خَيْرَ وَلِيدٍ يُسْتَجَارُ بِهِ
قَرَّتْ بِهِ عَيْنُ خَيْرِ الرُّسُلِ ثُمَّ بَكَتْ إِنْ تَبْتَهَجَ فَاطِمٌ فِي يَوْمِ مَوْلِدِهِ
أَوْ يَنْتَعِشَ قَلْبُهَا مِنْ نُورٍ طَلَعَتْهُ فَقَلْبُهَا لَمْ تَطُلْ فِيهِ مَسَرَّتُهُ
بُشْرَى أبا حَسَنِ فِي يَوْمِ مَوْلِدِهِ لَوْلَا الْمُحَرَّمُ يَأْتِي فِي دَوَاهِيهِ
لَوْلَا تَغَشَّاهُ عَاشُورُ بِدَاجِيهِ لَوْلَمْ يَرُغْهُ بِذِكْرِ الطُّفِّ نَاعِيهِ
وَخَيْرَ مُسْتَشْهَدٍ فِي الدِّينِ يَحْمِيهِ فَهَلْ نُهْنِيهِ فِيهِ أَمْ نُعْزِيهِ
فَلَيْلَةُ الطُّفِّ أَمَسَتْ مِنْ بَوَاكِيهِ فَقَدْ أُدِيلَ بِقَانِي الدَّمْعِ جَارِيهِ
حَتَّى تَنَازَعَ تَبْرِيحُ الْجَوَى فِيهِ وَيَوْمَ أَرْعَبَ قَلْبَ الْمَوْتِ مَاضِيهِ

وله من قصيدة في الإمام الحجة المنتظر عليه السلام - أيضاً - قوله :
رُوِنْدُكُمْ أَيُّهَا الْبَاكِيانِ فَمَا أَنْتُمْ أَوَّلُ الْوَالِهِيْنَ
فَكَمْ لِنَوَاهُ جَرَتْ عَبْرَةٌ جَرَتْ وَلَهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفِرَاقِ
فَلَا نَهْنَهَ الْوَجْدَ فَيُضِ الدُّمُوعُ وَقَدْ شَطَّتِ الدَّارُ بِالظَّاعِنِيْنَ
وَبَانَ وَأَوْدَعَنَا حَسْرَةً وَمِنْ لَوْعَةِ الْهَيْنِ دَاءٌ ذَفِينَا
أَطَالَ نَوَاهُ وَمِنْ نَأْيِهِ رُزِينَا بِمَا يَسْتَحِفُّ الرُّزِينَا
نُقْضَى اللَّيَالِي أَنْتِظَارًا لَهُ فَيَا حَسْرَتَا، وَنُقْضَى السَّنِينَا
نُطِيلُ الْحَنِينَ بِتَذْكَارِهِ وَيَا بَرَحًا أَنْ نُطِيلَ الْحَنِينَا

فَمَا لَقِيتَ فَاقِدَاتِ الْحَمَامِ مِنْ الْوَجْدِ فِي نَوْحِهَا مَا لَقِينَا

ومن قصيدة له يرثي بها الإمام الحسين عليه السلام قوله :

يَا تَرْبَ الْخَدِّ فِي رَمْضِ الطُّفُوفِ	لَيْتَنِي دُونَكَ نَهْبًا لِلْسُّيُوفِ
يَا نَصِيرَ الدِّينِ إِذْ عَزَّ النَّصِيرُ	وَحِمَى الْجَارِ إِذَا عَزَّ الْمُجِيرُ
وَشَدِيدَ الْبَأْسِ وَالْيَوْمَ عَسِيرُ	وَثِمَالُ الْوَفْدِ فِي الْعَامِ الْعُسُوفِ
كَيْفَ يَا خَامِسَ أَصْحَابِ الْكِسَا	وَأَبْنَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ الْمُصْطَفَى
وَأَبْنَ سَاقِي الْحَوْضِ فِي يَوْمِ الظُّلْمَا	وَشَفِيعَ الْخَلْقِ فِي الْيَوْمِ الْمَخُوفِ
يَا صَرِيحاً ثَاوِياً فَوْقَ الصُّعَيْدِ	وَحَضِيْبَ الشَّيْبِ مِنْ قَيْضِ الْوَرِيدِ
كَيْفَ تَقْضِي بَيْنَ أَجْنَادِ يَزِيدَ	ظَالِماً تُسْقَى بِكَاسَاتِ الْحُتُوفِ
كَيْفَ تَقْضِي ظَالِماً حَوْلَ الْفُرَاتِ	دَائِماً تَنْهَلُ مِنْكَ الْمَاضِيَاتِ
وَعَلَى جِسْمِكَ تَجْرِي الصَّافِنَاتُ	عَافِرَ الْجِسْمِ لُقَى بَيْنَ الصُّفُوفِ
يَا مُرِيعَ الْمَوْتِ فِي يَوْمِ الطُّعَانِ	لَا خَطَا نَحْوَكَ بِالرُّمَحِ سِنَانِ
لَا وَلَا شِمْرُ دَنَا مِنْكَ فَكَانَ	مَا أَمَارَ الْأَرْضَ هَوَلاً بِالرُّجُوفِ
سَيِّدِي أَبْكَيكَ لِلشَّيْبِ الْخَضِيبِ	سَيِّدِي أَبْكَيكَ لِلْوَجْهِ التُّرِيبِ
سَيِّدِي أَبْكَيكَ لِلْجِسْمِ السَّلِيبِ	مِنْ حَشَا حَرَانَ بِالدَّمْعِ الذُّرُوفِ
سَيِّدِي إِنْ مَنَعُوا عَنْكَ الْفُرَاتِ	وَسَقَوْا مِنْكَ ظِمَاءَ الْمُرْهَفَاتِ
فَتَسْنَسِقِي كَرْتِلاً بِالْعَبْرَاتِ	وَكَفَاءً مِنْ عَلَقِ الْقَلْبِ الْأُسُوفِ
سَيِّدِي أَبْكَيكَ مَنُهَوِّبَ الرِّحَالِ	سَيِّدِي أَبْكَيكَ مَسْبِيَّ الْعِيَالِ
بَيْنَ أَعْدَاكَ عَلَى عُجْفِ الْجِمَالِ	فِي الْفِيَا فِي بَعْدِ هَاتِيكَ السُّجُوفِ
سَيِّدِي إِنْ نَقَضَ دَهْرًا فِي بُكَاءِكَ	مَا قَضَيْنَا الْبَعْضَ مِنْ قَرْضٍ وَلَاكَ
أَوْ عَكَفْنَا عُمُرَنَا حَوْلَ ثَرَاكَ	مَا شَفَى غُلَّتْنَا ذَاكَ الْعُكُوفِ

لَهْفَ نَفْسِي لِنِسَاكِ الْمُغْوِلَاتِ وَالْيَتَامَى إِذْ عَدَّتْ بَيْنَ الطُّفَاةِ
بَاكِياتٍ شَاكِياتٍ صَارِحَاتٍ وَلَهَا حَوْلَكَ تَسْعَى وَتَطُوفُ

ومن شعر الإمام البلاغي - رضوان الله عليه - الذي سارت به الركبان،
قصيدته التي نظمها ردّاً على قصيدة أحد علماء بغداد المنكرين لوجود الإمام
الثاني عشر المهدي المنتظر عليه السلام، والتي بعثها إلى علماء النجف
الأشرف عام ١٣١٧ هـ، التي يقول فيها:

أَيَا عُلَمَاءِ الْعَصْرِ يَا مَنْ لَهُمْ خُبْرُ
بِكُلِّ دَقِيقٍ حَارٍ فِي مِثْلِهِ الْفِكْرُ
لَقَدْ حَارَ مِنِّي الْفِكْرُ فِي الْقَائِمِ الَّذِي
تَنَازَعَ فِيهِ النَّاسُ وَآلَتَبَسَ الْأَمْرُ

فأجابه العلامة البلاغي بقصيدة طويلة تقع في أكثر من مائة بيت، وهي
من عيون شعره، ومطلعها:

أَطَعْتُ الْهَوَى فِيهِمْ وَعَاصَانِي الصَّبْرُ
فَهَا أَنَا مَا لِي فِيهِ نَهْيٌ وَلَا أَمْرُ
أَنِسْتُ بِهِمْ سَهْلَ الْقِفَارِ وَوَعَرَهَا
فَمَا رَاعَنِي مِنْهُنَّ سَهْلٌ وَلَا وَعْرُ
أَخَا سَفَرٍ وَلَهَانَ أَغْتَنِمُ الشَّرَى
مِنَ اللَّيْلِ تَغْلِيصاً إِذَا عَرَسَ السَّفَرُ

ومنها قوله:

وَفِي خَبَرِ الثَّقَلَيْنِ هَادٍ إِلَى الَّذِي
تَنَازَعَ فِيهِ النَّاسُ وَآلَتَبَسَ الْأَمْرُ

إِذَا قَالَ خَيْرُ الرُّسُلِ لَنْ يَتَفَرَّقَا
فَكَيْفَ إِذَنْ يَخْلُو مِنَ الْعِثْرَةِ الْعَصْرُ
وَمَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِتَيْنِكَ إِنَّهُمْ
هُمْ السَّادَةُ الْهَادُونَ وَالْقَادَةُ الْغُرُ
ومنها قوله أيضاً:

وَعَابَ بِأَمْرِ اللَّهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي
يَرَاهُ لَهُ فِي عِلْمِهِ وَلَهُ الْأَمْرُ
وَأَوْعَدَهُ أَنْ يُحْيِيَ الدِّينَ سَيِّفُهُ
وَفِيهِ لِدِينِ الْمُصْطَفَى يُدْرِكُ الْوَتْرُ
وَيُخْدِمُهُ الْأَمْلَاقُ جُنْدًا وَإِنَّهُ
يَشُدُّ لَهُ بِالرُّوحِ فِي مُلْكِهِ أَزْدُ
وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ تَرْجِعُ مُلْكَهُ
وَيَمْلَأُهَا قِسْطًا وَيَرْتَفِعُ الْمَكْرُ
فَأَيُّقِنَنَّ أَنَّ الْوَعْدَ حَقٌّ وَأَنَّهُ
إِلَى وَقْتِ عَيْسَى يَسْتَطِيلُ لَهُ الْعُمُرُ
فَسَلَّمَ تَفْوِيضًا إِلَى اللَّهِ صَابِرًا
وَعَنْ أَمْرِهِ مِنْهُ النُّهُوضُ أَوْ الضُّبُرُ
وَلَمْ يَكْ مِنْ خَوْفِ الْأَذَاةِ اخْتِفَاؤُهُ
وَلَكِنْ بِأَمْرِ اللَّهِ خَيْرَ لَهُ السُّتْرُ
وَحَاشَاءُ مِنْ جُبْنٍ وَلَكِنْ هُوَ الَّذِي
عَدَا يَخْتَشِيهِ مَنْ حَوَى الْبَرُّ وَالْبَحْرُ

أَكُلْ أَخْتِفَاءِ خِلْتِ مِنْ خَيْفَةِ الْأَذَى
 قُرْبُ أَخْتِفَاءِ فِيهِ يُسْتَنْزَلُ النَّصْرُ
 وَكُلْ فِرَارٍ خِلْتِ جُبْنًا قُرْبًا
 يَفِرُّ أَحْوَبُ بَأْسٍ لِيُمْكِنَهُ الْكَرُّ
 فَكَمْ قَدْ تَمَادَتْ لِلنَّبِيِّينَ غَيْبَةٌ
 عَلَى مَوْعِدٍ فِيهَا إِلَى رَبِّهِمْ فُرُؤُا
 وَإِنَّ يَوْمَ الْغَارِ وَالشَّعْبِ قَبْلَهُ
 غَنَاءٌ كَمَا يُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ الْخُبْرُ
 وَلَمْ أَدْرِ لِمَ أَنْكَرْتَ كَوْنُ أَخْتِفَائِهِ
 بِأَمْرِ الَّذِي يَعْنِي بِحِكْمَتِهِ الْفِكْرُ
 اتَّحَضَرُ أَمْرَ اللَّهِ فِي الْعَجْزِ أَمْ لَدَى
 إِقَامَةٍ مَا لَفَّقْتَ أَقْعَدَكَ الْحَضَرُ؟!
 فَذَلِكَ أَدهَى الدَاهِيَاتِ وَلَمْ يَقُلْ
 بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَخُو السَّفَةِ الْغَمْرُ
 وَدُونَكَ أَمْرَ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا لَقُوا
 فِيهِ لِذِي عَيْنَيْنِ يَتَّضِحُ الْأَمْرُ
 مِنْهُمْ قَرِيبُ قَدْ سَقَاهُمْ^(٢٠) حِمَاهُمْ
 - بِكَاسِ الْهَوَانِ - الْقَتْلُ وَالذَّبْحُ وَالنَّشْرُ
 أَيْعَجَزُ رَبُّ الْخَلْقِ عَنْ نَصْرِ حَزْبِهِ
 عَلَى غَيْرِهِمْ؟! كَلَّا، فَهَذَا هُوَ الْكُفْرُ

وَكَمْ مُخْتَفٍ بَيْنَ الشُّعَابِ وَهَارِبٍ
إِلَى اللَّهِ فِي الْأَجْبَالِ يَأْلِفُهُ النَّسْرُ
فَهَلَّا بَدَا بَيْنَ الْوَرَى مُتَحَمِّلاً
مَشَقَّةَ نُضْحِ الْخَلْقِ مَنْ دَابُّهُ الصَّبْرُ
وَأِنْ كُنْتَ فِي رَيْبٍ لِطَوْلِ بَقَائِهِ
فَهَلْ رَابَكَ الدَّجَالُ وَالصَّالِحُ الْخِضْرُ؟!
أَيَرْضَى لِبَيْبٍ أَنْ يُعَمَّرَ كَافِرُ
وَيَأْبَاهُ فِي بَاقٍ لِيُمَحَى بِهِ الْكُفْرُ
ومنها أيضاً:

فَدَعْ عَنْكَ وَهْمًا تَهْتَ فِي ظُلُمَاتِهِ
وَلَا يَرْتَضِيهِ الْعَبْدُ كَلًّا وَلَا الْحُرُّ
وَأِنْ شِئْتَ تَقْرِبَ الْمَدَى فَلَرَّيْمَا
يَكِلُ بِمَيْدَانِ الْجِيَادِ بِكَ الْفِكْرُ
فَمَذْ قَادَنَا هَادِي الدَّلِيلِ بِمَا قَضَى
بِهِ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ الْيَقِينَانِ وَالذِّكْرُ
إِلَى عِصْمَةِ الْهَادِينَ آلِ مُحَمَّدٍ
وَأَنَّهُمْ فِي عَضْرِهِمْ لَهُمُ الْأَمْرُ
وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَارِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ
أَحَادِيثُ يَعْنِي مِنْ تَوَاتُرِهَا الْحَضَرُ
تَعَرَّفْنَا أَبْنَ الْعَسْكَرِيِّ وَأَنَّهُ
هُوَ الْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ وَالْوَاتِرُ الْوَتَرُ

تَبَغْنَا هُدَى الْهَادِي فَأَبْلَغْنَا الْمَدَى

بُنُورِ الْهُدَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

وله قصيدة عينية طويلة ذات معاني فلسفية عالية، عارض بها عينية

ابن سينا في النفس، التي مطلعها:

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ عَنْقَاءَ ذَاتَ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعٍ

فمما قال فيها - قدس الله نفسه الزكية - ردأ عليه:

نَعِمْتُ بِأَنْ جَاءَتْ بِخَلْقِ الْمُبْدِعِ ثُمَّ السَّعَادَةُ أَنْ يَقُولَ لَهَا: ﴿أَرْجِعِي﴾

خُلِقْتُ لِأَنْفَعِ غَايَةٍ يَا لَيْتَهَا تَبَعْتُ سَبِيلَ الرُّشْدِ نَحْوَ الْأَنْفَعِ

اللَّهُ سِوَاهَا وَاللَّهُمَّهَا فَهَلْ تَنْحُو السَّبِيلَ إِلَى الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ

نَعِمْتُ بِنِعْمَاءِ الْوُجُودِ وَنُودِيتُ هَذَا هُذَاكِ وَمَا تَشَائِي فَأَصْنَعِي

وَدَعِي الْهَوَى الْمُرْدِي لِيثْلًا تَهْطِي فِي الْخُسْرِ ذَاتَ تَوَجُّعٍ وَتَفْجَعِ

إِنْ شِئْتَ فَأَرْتَفِعِي لِأَرْفَعِ دُرُوزَةٍ وَحَذَارٍ مِنْ دَرْكِ الْحَضِيضِ الْأَوْضَعِ

إِنَّ السَّعَادَةَ وَالْغِنَى إِنْ تَقْنَعِي مَوْفُورَةٍ لَكَ وَالشَّقَا إِنْ تَطْمَعِي

وله قصيدة في ثامن شوال سنة ١٣٤٣ هـ، وهو اليوم الذي هُدمت فيه

قبور أئمة الهدى الأطهار عليهم السلام في البقيع من قبل الوهابيين،

ومطلعها:

دَهَاكَ ثَامِنَ شَوَالٍ بِمَا دَهَمَا فَحَقَّ لِلْعَيْنِ إِهْمَالُ الدُّمُوعِ دَمَا

ومنها:

يَوْمَ الْبَقِيعِ لَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ وَشَارَكَتْ فِي شَجَاهَا كَرْبَلَا عِظَمَا

وله - قدس سره - مراسلات شعرية وغير شعرية - علمية ووجدانية -

جرت بينه وبين السيد محسن الأمين العاملي - رحمه الله - تنم عن أدبه الجم

وخلقه الرفيع السامي، أوردها السيّد الأمين في: أعيان الشيعة ٢٥٧/٤ - ٢٦١.

وله - رحمه الله رحمة واسعة - مراسلات شعرية أخرى جرت بينه وبين آخرين، ومراثٍ وتهانٍ وأغراض شعرية غير ذلك، مذكورة في أغلب المصادر التي ترجمت له.

تلامذته:

قد مرّ ذكر أسماء شيوخه وأساتذته، أمّا تلامذته . . فقد تتلمذ على الشيخ البلاغي - رضوان الله عليه - العديد من أعيان الطائفة وعلمائها المشهورين، فمن جملة الَّذِينَ نهلوا من معين علمه وتتلّمذوا عليه، أو حضروا مجلس درسه، أو رويوا عنه:

- ١ - السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي، المتوفّى سنة ١٤١٣ هـ.
- ٢ - السيّد شهاب الدين محمّد حسين الحسيني المرعشي النجفي، المتوفّى سنة ١٤١١ هـ.
- ٣ - الشيخ ذبيح الله بن محمّد عليّ المحلاتي، المتوفّى سنة ١٤٠٥ هـ.
- ٤ - السيّد مجمّد هادي الحسيني الميلاني، المتوفّى سنة ١٣٩٥ هـ.
- ٥ - الشيخ عليّ محمّد البروجردي، المتوفّى سنة ١٣٩٥ هـ.
- ٦ - السيّد محمّد صادق بحر العلوم، المتوفّى سنة ١٣٩٠ هـ.
- ٧ - الشيخ محمّد رضا آل فرج الله، المتوفّى سنة ١٣٨٦ هـ.
- ٨ - الشيخ محمّد عليّ الأردوبادي، المتوفّى سنة ١٣٨٠ هـ.
- ٩ - الشيخ مهدي بن داود الحجّار، المتوفّى سنة ١٣٥٨ هـ.
- ١٠ - الشيخ نجم الدين جعفر العسكري.
- ١١ - الشيخ محمّد رضا الطبسي النجفي.
- ١٢ - الشيخ جعفر باقر آل محبوبة.

- ١٣ - السيّد صدر الدين الجزائري .
- ١٤ - الشيخ مجتبى اللنكراني النجفي .
- ١٥ - الشيخ مرتضى المظاهري النجفي .
- ١٦ - الشيخ محمّد المهدي اللاهيجي .
- ١٧ - الميرزا محمّد عليّ أديب الطهراني .
- ١٨ - الميرزا محمّد عليّ التبريزي المدرّس .
- ١٩ - الشيخ إبراهيم بن مهدي القرشي .

وفاته ومدفنه وراثته :

توفي - نور الله مرقده - بمرض ذات الجنب، ليلة الاثنين ٢٢ شعبان ١٣٥٢ هـ، فأرثجت مدينة النجف بأكملها واجتمعت إلى بيته، وشيع تشييعاً يليق بمقامه، سار فيه آلاف من الجماهير يتقدّمهم عظماء المجتهدين وأساطين العلم والأدب، ودفن في الحجرة الثالثة الجنوبية من طرف مغرب الصحن الشريف لمرقّد أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهي حجرة آل العاملية .

ومن العجيب أنّ مطلع إحدى قصائده - المذكورة آنفاً - في مدح الإمام الحجة المنتظر عليه السلام، في ذكرى مولده السعيد المبارك، قوله :

حَيَّ شَعْبَانُ فَهوَ شَهْرُ سَعُودِي وَعَدُّ وَصَلِي فِيهِ وَلَيْلَةُ عِيْدِي
فَكَانَ كَمَا أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ، إِذْ وَصَلَ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ فِي شَعْبَانَ،
فَفَجَعَ الْإِسْلَامَ بِوَفَاتِهِ، وَثَلَمَ فِي الدِّينِ ثَلَمَةً لَا يَسُدُّهَا أَحَدٌ، تَعْمَدُهُ اللَّهُ بِوَاسِعِ
رَحْمَتِهِ .

ورثاه أكابر العلماء والأدباء بعيون الشعر الحزين الدامع، وكان في طليعتهم خاله العلامة السيّد رضا الهندي - رحمه الله - في قصيدة رائعة ضمّنها

بعض أسماء كتبه ، ومطلعها :

إِنْ تُمْسِرْ فِي ظُلْمِ اللَّحُودِ مُوسِدًا
وَلَيْتَ يُفَاجِئَكَ الرَّدَى فَلْتَطَالَمَا
هَذَا مَدَى تَجْرِي إِلَيْهِ فَسَابِقُ
قَدْ كُنْتُ أَهْوَى أَنَّنِي لَكَ سَابِقُ
فَلْيَنْدُبِ (التَّوْحِيدُ) يَوْمَ مَمَاتِهِ
وَلْيُنِصِّكَ دِينَ مُحَمَّدٍ لِمُجَاهِدِ
وَلْيُجَرِّ أَدْمَعُهُ الْبِرَاقَ لِكَاتِبِ
وَجَدَ الْهُدَى أَرَقًا فَاسْهَرِ جَفْنَهُ
أَخْخِي كَمْ نَشَرْتَ يَدَاكَ مِنَ (الْهُدَى)
إِنْ كُنْتَ لَمْ تُعْقِبْ بَيْنَ فَكُلْ مَنْ

فَلَقَدْ أَضَاعَتْ بِهِنَّ (أَنْوَارَ الْهُدَى)
حَاوَلْتُ إِنْقَادَ الْعِبَادِ مِنَ الرَّدَى
فِي يَوْمِهِ أَوْ لِاحِقَ يَمْضِي غَدَا
هَيْهَاتَ قَدْ سَبَقَ (الْجَوَادُ) إِلَى الْمَدَى
سَيْفًا عَلَى (التَّثْلِيثِ) كَانَ مُجَرَّدَا
أَشَجَّتْ رَزِيئَتُهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدَا
أَجْرَاهُ فِي جَفْنِ الْهِدَايَةِ مِرْوَدَا
حِرْصًا عَلَى جَفْنِ الْهُدَى أَنْ يَرْفُدَا
بَذْرًا فِطْبَ نَفْسًا فَرَزَعَكَ أَحْصَدَا
يَهْدِيهِ رُشْدُكَ فَهُوَ مِنْكَ تَوَلَّدَا

إلى آخرها، وهي طويلة وكلها من هذا النمط العالي .

وله قصيدة أخرى في رثائه أيضاً، منها :

قَدْ خَصَّكَ الرَّحْمَنُ فِي (آلَائِهِ)
عَمَّتْ رَزِيئَتُكَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ يَا
يَا مُحْيِيَ الْبُيُوتِ الْخَفِيَّةِ تَلَافَهُ
أَوْقَدْتَ (أَنْوَارَ الْهُدَى) مِنْ بَعْدِمَا
وَرَفَعْتَ لِلتَّوْحِيدِ رَايَةً بِاسِلٍ
يَا بَارِي الْقَلَمِ الَّذِي إِنْ يَجْرِي فِي
مَا السُّمُرُ تُشَبِّهُ مِنْهُ حُسْنَ قِوَامِهِ
عَجَبًا لَهُ يُمَلِّي بَيَانَكَ أَخْرَسَا

فَدَعَاكَ دَاعِيهِ لِإِدَارِ لِقَائِهِ
دَاعِي هُدَاهُ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
فَالِدِينَ أَوْشَكَ أَنْ يَمُوتَ بِدَائِهِ
قَدْ جَدَّ أَهْلُ الْكُفْرِ فِي إِطْفَائِهِ
رَدَّ الضَّلَالِ مُنْكَسًا لِلْوَائِهِ
لَوْحِ أَصَابِ الشَّرْكَ حَتَمَ قَضَائِهِ
كَلاَّ وَلَا الْأَسْيَافُ حَدَّ مَضَائِهِ
وَتَرَى الْأَصَمَّ مُلَبِّيًا لِدُعَائِهِ

هُوَ مُفْجِرُ طَوْرًا وَيَسْحَرُ تَارَةً أَهْلَ الْحِجَى إِنْ شَاءَ فِي إِنْشَائِهِ
ورثاه العالم الأديب الشيخ محمد رضا المظفر في قصيدة مطلعها:
يَا طَرْفُ جُدْ بِسَوَادِ الْعَيْنِ أَوْ قَدِّرْ ماذا أَنْتِفَاعُكَ بَعْدَ الشَّمْسِ بِالنَّظَرِ؟!
ومنها:

قَدْ كَانَ كَالْبَدْرِ فِي لَيْلِ الشُّتَاوَضَى كالشَّمْسِ مَعْرُوفَةً بِالْعَيْنِ وَالْأَثَرِ
وفي رثائه قال السيد مسلم الحلبي قصيدة، منها هذا البيت:
إِنِّي أَرَى الْمَوْتَ الزُّوَامَ مُمَثَّلًا لِلنَّاسِ فَعَلَ الصُّيْفِ النُّقَادِ
وقد أَرخ عام وفاته السيد محمد الحلبي بأبيات، فقال:
دُمِّي الْإِسْلَامُ إِذْ بِهِ تَدَاعَى سُورَةُ
وَشَرَعُ طَهْ أَسْفَا لَمَّا مَضَى نَصِيرُهُ
مُذْ غَابَ أَرْخْتُ أَلَا غَابَ (الْهُدَى) وَ(نُورُهُ)
وقال أحد معارفه:

فِي ذِمَّةِ اللَّهِ نَفْسٌ بِالْجِهَادِ قَضَتْ فَكَانَ آخِرَ شَيْءٍ فَارَقَتْ قَلَمُ
ورثاه الشيخ محمد تقي الفقيه - أحد علماء جبل عامل - بمرثية، منها:
أَفْنَيْتَ نَفْسَكَ بِالْجِهَادِ وَطَالَمَا بِدُمَائِهَا رَوَى الْبِرَاعَ الظَّامِي
حَتَّى تَرَأَتْ فِي الْجَنَانِ مِهِيضَةً هَتَفَ الْمَلَائِكَةُ: (أَدْخِلِي بِسْلَامِ)
ومنها:

صَيَّرْتَ قَلْبَكَ شَمْعَةً وَحَمَاتُهُ ضَوْؤُ أَمَامَ الدِّينِ لِلْإِعْظَامِ
فَأَذْبَنَتْهُ فَإِذَا الْمَدَامِغُ أَسْطَرُّ وَالنُّورُ مَعْنَاهَا الْبَدِيعُ السَّامِي
ورثاه الشيخ محمد عليّ يعقوبي بقصيدة مطلعها:

سَلُّوا قُبَّةَ الْإِسْلَامِ مَاذَا أَمَادَهَا؟! مَتَى قَوَّضَتْ مِنْهَا اللَّيَالِي عِمَادَهَا

وقد أحسن أحد الأدباء فخاطبه في رثائه :

زَوَّدَتْ نَفْسَكَ فِي حَيَاتِكَ زَادَهَا تَقَوَّى الْإِلَهَ وَذَاكَ خَيْرُ الزَّادِ
ووصفه أحد البارعين فقال :

تَحَلَّى بِهِ جِدُّ الزَّمَانِ وَأَصْبَحَتْ تُزَانُ بِهِ الدُّنْيَا وَتَزْهُو الصَّحَائِفُ
ورثاه كذلك السيّد محمود الحَبّوبي ومحمّد صالح الجعفري والشيخ
محمّد عليّ الأردوبادي، وغيرهم .

مصنّفاته وآثاره العلمية :

في الحقيقة أنّه لم يمت من خلف ما خلفه المترجم من الآثار التي
تهتدي بها الأجيال، وتحتجّ بها الأبطال، فإنّ في مؤلّفاته ثمرات ناضجة قدّمها
المترجم لرواد الحقيقة، وفيما يلي مسرد لها - وقد أشرتُ إلى ما هو مطبوع منها
فعلاً قدر المستطاع - عسى الله تعالى أن يقيّض من يعثر على غير المطبوع منها
فيحييه :

١ - الهدى إلى دين المصطفى .

في الردّ على النصارى، طبع لأول مرة في جزئين في صيدا سنّي ١٣٣٠
١٣٣١ هـ، وطبع في النجف الأشرف سنة ١٩٦٥ م، ثمّ أعادت طبعه دار
الكتب الإسلامية في قم، بالتصوير على الطبعة الثانية .

٢ - الرحلة المدرسية، أو: المدرسة السيّارة .

في الردّ على اليهود والنصارى، في ثلاثة أجزاء، طبع عدّة مرّات في
النجف الأشرف وبيروت .

ثمّ طبع الجزء الأوّل منه بتحقيق يوسف الهادي، وصدر عن مؤسّسة
البلاغ في طهران سنة ١٤١٣ هـ .

كما تُرجم الكتاب إلى الفارسية، وطبع في النجف الأشرف أيضاً .

٣ - أعاجيب الأكاذيب .

في الردّ على النصارى، طبع لأول مرة في النجف الأشرف سنة ١٣٤٥ هـ .

حقّقته وصدر في قم سنة ١٤١٢ هـ عن دار الإمام السّجاد عليه السلام، ثمّ أعادت دار المرتضى في بيروت طبعه - بالتصوير على هذه الطبعة - سنة ١٤١٣ هـ .

ترجم إلى الفارسية تحت عنوان: «شگفت آور دروغ» من قبل عبدالله إيراني - ولعلّه اسم مستعار آخر للمؤلف - وطبع في النجف الأشرف سنة ١٣٤٦ هـ .

٤ - التوحيد والتثليث .

في الردّ على النصارى، طبع لأول مرة في صيدا سنة ١٣٣٢ هـ .
حقّقته وصدر في قم سنة ١٤١١ هـ عن مؤسسة قائم آل محمّد عجل الله تعالى فرجه الشريف، ثمّ أعادت طبعه - بالتصوير على هذه الطبعة - دار المؤرّخ العربي في بيروت .

٥ - عمّانويل .

في المحاكمة مع بني إسرائيل .

٦ - داعي الإسلام وداعي النصارى .

في الردّ على النصارى .

٧ - رسالة في الردّ على جرجيس سايل وهاشم العربي .

في الردّ على النصارى أيضاً .

٨ - رسالة في الردّ على كتاب «ينابيع الإسلام» .

في الردّ على النصارى أيضاً .

٩ - المسيح والأنجيل .

في الردّ على النصارى كذلك، طبع بتمامه في مجلّة «الهدى» العِمّارية

العراقية، في عدّة من أعدادها سنة ١٣٤٨ هـ.

١٠ - رسالة في الردّ على كتاب «تعليم العلماء».

١١ - نور الهدى.

في الردّ على شبهات وردت من لبنان، مطبوع في النجف الأشرف.

١٢ - البلاغ المبين.

في الإلهيات، طبع في بغداد سنة ١٣٤٨ هـ.

١٣ - أنوار الهدى.

في الردّ على الطبعيين والمادّيين وشبهاتهم الإلحادية، طبع الجزء الأول منه في النجف الأشرف سنة ١٣٤٠ هـ.

وأعيد طبعه في بيروت، ثمّ طبع بالتصوير على هذه الطبعة في قم. وترجم إلى الأوردية، وطبع في لكهنو بالهند.

١٤ - مصابيح الهدى، أو: المصابيح في بعض من أبدع في الدين في القرن الثالث عشر.

في الردّ على القاديانية والبابية والبهائية والأزلية، طبع قسم منه.

١٥ - الشهاب.

في الردّ على كتاب «حياة المسيح» للقاديانية.

١٦ - نصائح الهدى، أو: نصائح الهدى والدين إلى من كان مسلماً وصار

بائياً.

في الردّ على البابية والبهائية، طبع في بغداد سنة ١٣٣٩ هـ.

وترجمه إلى الفارسية السيّد عليّ العلامة الفاني الأصفهاني - المتوفى

سنة ١٤٠٩ هـ - تحت عنوان: نصيحت بفریب خورندگان باب و بهاء، وصدر

في أصفهان سنة ١٣٦٩ هـ، ثمّ أعيد طبع الترجمة هذه في قم سنة ١٤٠٥ هـ.

١٧ - دعوى الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى.

في إبطال فتوى الوهابيين بهدم قبور الأئمة الأطهار عليهم السلام في

البقيع وبقية القبور في مكة المكرمة والمدينة المنورة، طبع في النجف الأشرف سنة ١٣٤٤ هـ.

١٨ - رسالة أخرى في الرد على الوهابية .
وهي في تفنيد فتواهم أيضاً، مطبوعة أيضاً .
١٩ - رسالة في الاحتجاج لكل ما انفردت به الإمامية بما جاء من الأحاديث في كتب غيرهم .

٢٠ - إلزام المتدين بأحكام دينه .
بطراز جذاب وأسلوب فريد في بابه .
٢١ - رسالة في ردّ أوراق وردت من لبنان .
ولعلها نفس الكتاب المتقدم برقم ١١ .
٢٢ - مسألة في البداء .

رسالة صغيرة نشرها الشيخ محمد حسن آل ياسين لأول مرة في بغداد سنة ١٣٧٤ هـ، في آخر المجموعة الرابعة من سلسلة «نفائس المخطوطات» .
حققتها ثانية، وصدرت في قم سنة ١٤١٤ هـ ضمن كتيب «رسالتان في البداء» .

٢٣ - داروين وأصحابه .

مطبوع .

٢٤ - نسيمات الهدى .

طبع في بعض أعداد مجلة «العرفان» .

٢٥ - أجوبة المسائل البغدادية .

في أصول الدين، مطبوعة .

٢٦ - أجوبة المسائل الحلية .

٢٧ - أجوبة المسائل التبريزية .

في الطلاق وتعدد الزوجات والحجاب .

٢٨ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن .

توفى - رحمه الله - ولم يتمه ، إذ وصل فيه إلى نهاية تفسير آية الضوء من سورة المائدة ، وقد طبع لأول مرة في لبنان في جزئين ، وأعادت مكتبة الوجداني في قم طبعه - بالتصوير - على هذه الطبعة .

٢٩ - رسالة في تكذيب رواية التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام .

حقّقها الشيخ رضا الأستاذي ونشرها في قم ، في مجلّة «نور علم» العدد

١ ، السنة ٢ ، ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ .

٣٠ - رسالة في وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم .

طبعت بالإنكليزية ، أمّا الأصل العربي فلم يطبع .

٣١ - رسالة في الأوامر والنواهي .

٣٢ - تعليقة على «العروة الوثقى» للسيد البيهقي .

٣٣ - تعليقة على مباحث البيع من كتاب «المكاسب» للشيخ الأنصاري .

طبعت في النجف الأشرف سنة ١٣٤٣ هـ .

٣٤ - تعليقة على كتاب الشفعة من كتاب «جواهر الكلام» .

٣٥ - رسالة في حرمة حلق اللحية .

طبعت في قم بتقديم الشيخ رضا الأستاذي .

٣٦ - رسالة في الخيارات .

٣٧ - رسالة في التقليد .

٣٨ - رسالة في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال .

٣٩ - رسالة في بطلان العول والتعصيب .

٤٠ - رسالة في عدم تزويج أم كلثوم .

٤١ - العقود المفصلة في حلّ المسائل المشكّلة .

وهي ١٤ عقداً في الفقه وأصوله ، وهي :

أ - رسالة في العلم الإجمالي .
 ب - رسالة قاعدة على اليد ما أخذت .
 ج - رسالة في تنجيس المتنجس .
 د - رسالة في اللباس المشكوك .
 طبعت الرسائل الأربع هذه مع تعليقه على « المكاسب » في النجف
 الأشرف .

هـ - رسالة في ذبائح أهل الكتاب .
 و - رسالة في ضبط الكرّ .
 ز - رسالة في ماء الغسالة .
 ح - رسالة في حرمة مسّ المصحف على المحدث .
 ط - رسالة في إقرار المريض .
 ي - رسالة في منجزات المريض .
 ك - رسالة في مواقيت الإحرام .
 ل - رسالة في القبلة وتعيين مواقع البلدان المهمة في العالم من مكة
 المكرمة بحسب الاختلاف في الطول والعرض .
 م - رسالة في إلزامهم بما ألزموا به أنفسهم .
 طبعت بتصحيح علي أكبر الغفاري في إيران سنة ١٣٧٨ هـ .
 ن - رسالة في الرضاع .
 ٤٢ - رسالة أخرى في فروع الرضاع على مذهب الإمامية والمذاهب
 الأربعة .
 وغيرها .

رسالتنا هذه :

لقد ذكر أغلب المترجمين للعلامة البلاغي - قدس الله سرّه - أن له

رسالتين اثنتين مطبوعتين في ردّ الوهابية.

فقد ذكر الشيخ آقا بزرك الطهراني - رحمه الله - رسالة: «دعوى الهدى...» التي أوردناها آنفاً برقم ١٧، ذكرها في الذريعة ٢٠٦/٨ رقم ٨٤٣ وأنها مطبوعة في سنة ١٣٤٤ هـ، وذكر الرسالة الثانية - التي أوردناها برقم ١٨ - في الذريعة ٢٣٦/١٠ رقم ٧٤٠.

ثم ذكرهما أيضاً في نقباء البشر في القرن الرابع عشر ٣٢٥/١ ضمن تعداده لكتب الشيخ البلاغي المطبوعة، ولم يصرّح باسم الرسالة الأولى أو بتاريخ طبع الرسالتين أو إحداهما.

وذكرهما له أيضاً السيّد محسن الأمين العاملي - رحمه الله - في أعيان الشيعة ٢٥٦/٤ بالرقمين ١٢ و ١٣، ولم يصرّح بعنوان خاصّ لإحداهما أو بتاريخ طبعهما.

كما ذكرهما له الأستاذ المحامي توفيق الفكيكي - رحمه الله - ضمن مؤلفاته المطبوعة، في مقدّمته للطبعة الثانية من كتاب «الهدى إلى دين المصطفى» ص ١٣، بالتسلسلين ٩ و ١٠، ولم يصرّح بعنوان خاصّ لإحداهما أو بتاريخ طبعهما أيضاً.

وكذلك ذكرهما كوركيس عوّاد في معجم المؤلفين العراقيين ١٢٤/٣ بالرقمين ١٠ و ١١، ولم يصرّح بعنوان خاصّ لإحداهما أو بتاريخ طبعهما هو الآخر.

أمّا الرسالة هذه، فقد عثرت على ثلاث نسخ منها بعد جهد جهيد، وكانت جميعها خالية من اسم الرسالة والمؤلف، تتألف من ٤٥ صفحة، ومطبوعة على الحجر في النجف الأشرف، وكان الفراغ منها في ليلة ١٤ ربيع الأوّل سنة ١٣٤٥ هـ.

وبقراثن: زمانِي التاليف والطبع ومكانَيْهما، وعدم ذِكر اسم المؤلف^(٢١)، بل ذُكر في الإنهاء اسم مستعار هو «عبدالله»، وقوّة العرض والاستدلال بالرغم من صغر الرسالة، وأدب المؤلف وأخلاقه في المحاجة والنقاش، وكلّ ما يُعبّر عنه ب: نفس المؤلف وأسلوبه في التصنيف والتأليف . . .

بقريئة كلّ ذلك أمكنني الجزم أنّ رسالتنا هذه هي إحدى الرسالتين اللتين نمقهما يراع المؤلف - قدّس سرّه - في هذا المجال .

فإذا ما احتملنا أنّ ما ورد في الذريعة ٢٠٦/٨ رقم ٨٤٣ من أنّ تاريخ طبع رسالة «دعوى الهدى» هو غلط مطبعي، وأنّ الصحيح هو سنة ١٣٤٥ هـ بدلاً من ١٣٤٤ هـ، لكانت هذه الرسالة هي تلك بعينها، مع ملاحظة أنّ المؤلف - قدّس سرّه - لم يُحلّ أو يُشرّ في رسالته هذه إلى أنّ له رسالة أخرى في نفس الغرض .

أمّا إذا لم يصحّ ما احتملناه، فتكون هذه الرسالة هي الرسالة الثانية للشيخ البلاغي - قدّس سرّه - لا غير .

أهمّيّتها:

رسالة صغيرة الحجم، كبيرة المحتوى، فهي بعيدة عن التطويل المملّ أو الاختصار المخلّ، فقد اشتملت على جلّ المباحث اللازمة في الردّ على الوهابية، وأمتازت - بالرغم من صغر حجمها، وكبقيّة رسائل الشيخ البلاغي - بإيفاء الموضوع حقّه، بالحجّة القاطعة، والدليل الثقلي القوي، والبرهان العقلي المقنع؛ فقد اعتمد المؤلف - رحمه الله - على

(٢١) كما في كتبه: «الهدى إلى دين المصطفى» في طبعته الأولى، «التوحيد والتثليث»، و«أعاجيب الأكاذيب» وقد أنهاه بتوقيع: عبدالله العربي، و«أنوار الهدى» وقد وضع عنوان المراسلة معه على الصفحة الأولى بأسم: كاتب الهدى النجفي، و«البلاغ المبين» وهو محاورّة بين شخصين، هما: (عبدالله) و(رمزي) وأنهاه بتوقيع: عبدالله، وغيرها .

أُمّهات المصادر المعتمدة لدى عامة المسلمين، لدحض شبهات هذه الفرقة الضالّة، وإثبات مراده، مضافاً إلى ذلك دماثة الأخلاق والأدب الرفيع في المناقشة والمناظرة.

منهج العمل فيها:

استفدت من علامات الترقيم الحديثة في إعادة تقطيع النصّ وتوزيعه، وأثبتت الإيضاحات في الهامش، وخرّجت الأحاديث والروايات اعتماداً على مصادرهما الأصلية قدر الإمكان، أما إذا لم يتوفّر المصدر الأصلي لديّ، فإنّي قمت بتخريجها على عدّة مصادر أخرى، وربّما عضّدت الجميع بمصادر إضافية إمعاناً في إقامة الحجّة وإثباتها.

كما أنّي أصلحت الأغلاط الإملائية والطباعية التي لا تخلو منها آية طبعة لأيّ كتاب، وخاصّة إذا كانت طبعة حجرية، ولم أُشر إلى ذلك إلّا في موضعين.

أما ما وضعته بين معقوفتين [] ولم أُشر إليه في الهامش، فهو أحد ثلاثة:

* إمّا عنوان وضعته بين الفقرات والمطالب لزيادة الإيضاح.

* أو إضافة من المصدر المنقول عنه يقتضيها نسق المطلب، ربّما سقطت أثناء الطبع.

* أو زيادة من عند نفسي يقتضيها السياق، ربّما سقطت أثناء الطبع أيضاً.

شكر لا بُدّ منه:

لا يسعني وأنا أقدم هذه الرسالة إلّا أن أشكر كلّ من أعانني وأسدّني إليّ معروفاً، لإخراجها بأفضل صورة ممكنة، لا سيّما سماحة حجة الإسلام والمسلمين المحقّق السيّد محمّد رضا الحسيني الجلالّي، الذي تفضّل عليّ

بقراءتها وإبداء الملاحظات العلمية حولها، وكذا كل من ساهم بمراحل تهيتها وإخراجها الأخرى.

وأشكر كذلك مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، في قم، لتفضّلها بنشر هذه الرسالة المهمة على صفحات مجلّتها الغراء «تراثنا». وفق الله الجميع لخدمة دينه الحنيف ومراضيه.

وكلمة أخيرة لا بُدّ منها:

فأنا لا أدعي كمالاً في عملي هذا، فما كان إلّا في خدمة الدين والدفاع عنه ابتغاء غفران الله جلّ وعلا ورضوانه، وما هو إلّا من منّه وفضله وحسن توفيقه، عسى الله أن ينفع به، فهو وليّ ذلك، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

وإنّ هو إلّا صفحات متواضعة أعددتها ليوم فقري وفاقتي، أرفعها إلى مقام الإمام الحجة المنتظر المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، راجياً منه عليه السلام نظرة عطفٍ ولطف.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلّم على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

محمّد عليّ الحكيم

٩ جمادى الأولى ١٤١٥ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد سيد الوالدين
 والآخرين صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين
 ولعل قد عثرت في بعض الجرائد على سؤال
 نصه هذا غادر مكة في شهر رمضان الماضي
 الشيخ عبد الله بن بلهد فاضى قضاء الوهابية
 في الحجاز فاصدا المدينة المنورة وقد بلغت جريدة
 أم القرى من مكاتها في المدينة أن الشيخ ابن بلهد
 اجتمع بعلماء المدينة وباحثهم في أمور كثيرة ثم حوّل
 إليهم السؤال الاتي بسم الله الرحمن الرحيم ما قول
 علماء المدينة المنورة زادهم الله فهما وعلمائنا

ع

على الفقراء والمخاييح لا هداؤ ثوابه لضي
 القبر لكونه من أهل الكرامة في الدين و
 القبر في الخ وهذا وإن اختار الرسالة
 وأرجو أن يرفع الله بها الله هو المتفضل
 المنان وقد حصل الفراخ منه بيد مؤلفه
 الفقير إلى الله عبد الله أحد طلبه المراقب
 ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول
 سنة خمس وأربعين بعد الف
 ثلثاء هجرية والمحمد
 لله رب العالمين
 آمين

[الردّ على الوهابية]

[تمهيد :]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على محمّد سيّد الأوّلين
والآخريين، صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله أجمعين.

وبعد،

فقد عثرتُ في بعض الجرائد^(١) على سؤال نصّه هذا:
«غادر مكّة في شهر رمضان الماضي الشيخ عبدالله بن بليهد،
قاضي قضاة الوهابيين في الحجاز، قاصداً المدينة المنورة، وقد تلقت
جريدة أمّ القرى من مكاتبها في المدينة أنّ الشيخ ابن بليهد اجتمع
بعلماء المدينة وباحثهم في أمور كثيرة، ثمّ وجّه إليهم السؤال الآتي:
بسم الله الرحمن الرحيم، ما قول علماء المدينة المنورة - زادهم

(١) هي جريدة «أمّ القرى» العدد ٦٩، بتاريخ ١٧ شوال ١٣٤٤ هـ.

وهذا ممّا أفادني به سماحة العلامة المحقّق السيّد عبد العزيز الطباطبائي دام بقاؤه.

الله فهماً وعلماً - في البناء على القبور وأتخاذها مساجد، هل هو جائز أم لا ؟

وإذا كان غير جائز، بل ممنوعٌ منهئٍ عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا ؟

وإذا كان البناء في مسبلة - كالبقيع - وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبني عليه، فهل هو غصب يجب رفعه، لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم، أم لا ؟

وما يفعله الجهال عند هذه الضرائح، من التمسح بها، ودعائها مع الله، والتقرب بالذبح والنذر لها، وإيقاد السرج عليها، هل هو جائز أم لا ؟

وما يفعل عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم، من التوجه إليها عند الدعاء وغيره، والطواف بها وتقيلها والتمسح بها، وكذلك ما يفعل في المسجد الشريف، من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة، هل هو مشروع أم لا ؟

أفتونا مأجورين، ويَتَنَا لَنَا الْأَدْلَةَ الْمُسْتَدَّ إِلَيْهَا، لَا زَلَمَ مُلَجاً لِلْمُسْتَفِيدِينَ» .

وهذا نصّ الجواب :

«أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً؛ لصحة الأحاديث الواردة في منعه، وبهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين على ذلك بحديث علي رضي الله عنه أنه قال لأبي الهيثم: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن لا تدع

تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سوتته) رواه مسلم^(٢).

وأما اتّخاذ القبور مساجد والصلاة فيها فممنوع مطلقاً، وإيقاد السُرُج عليه ممنوع أيضاً؛ لحديث ابن عباس: (لعن رسول الله زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُرُج) رواه أهل السنن^(٣).
وأما ما يفعله الجهال عند الضرائح، من التمسّح بها، والتقرب إليها بالذبائح والنذور، ودعاء أهلها مع الله، فهو حرام، ممنوع شرعاً، لا يجوز فعله أصلاً.

وأما التوجّه إلى حجرة النبي صليّ الله عليه وسلّم عند الدعاء، فالأولى منعه، كما هو معروف من فقرات كتب المذهب؛ ولأنّ أفضل الجهات جهة القبلة.

وأما الطواف بها والتمسّح بها وتقبيلها، فهو ممنوع مطلقاً.
وأما ما يُفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة، فهو مُحَدَّث.

هذا ما وصل إليه علمنا السقيم.

ويلي ذلك توقيع ١٥ عالماً.

وقد علّقت جريدة «أم القرى» على هذه الفتوى بمقالة افتتاحية فائلة:

«إن الحكومة ستسير في تنفيذ أحكام الدين، رضي الناس أم كرهوا! إنتهى.

(٢) صحيح مسلم ٢/٦٦٦ ح ٩٣ ب ٣١، كما ورد الحديث باختلاف يسير في بعض ألفاظه

في المصادر التالية: مسند أحمد ١/٩٦ و١٢٩، سنن النسائي ٤/٨٨، سنن أبي داود

٣/٢١٥ ح ٣٦٦/٣، سنن الترمذي ٣/٣٦٦ ح ١٠٤٩ ب ٥٦.

(٣) سنن أبي داود ٣/٢١٨ ح ٣٢٣٦، سنن النسائي ٤/٩٥.

وأطلعتُ أيضاً على مقالة في بعض الجرائد المصرية^(*)، وهذا نصّها:

«تغلب الوهابيون على الحجاز، فأوفدت حكومة إيران وفداً - على رأسه حضرات أصحاب السعادة: ميرزا غفار خان جلال السلطنة، وزيرها المفوض في مصر، وميرزا حبيب الله خان هويدا عين الملك، قنصلها الجنرال^(٤) بالشام - إلى الحجاز، ليتبينوا وجه الحقيقة فيما أُذيع على العالم الإسلامي أجمع من فظائع الوهابيين في البلاد المقدسة، وأتم هذا الوفد الرسمي مهمته، ورفع تقريره إلى حكومته.

ولما تجدد نشر الإشاعات بأنّ الوهابيين هم هم .
وأنّ التطور الذي غشي العالم أجمع لم يصلح من فساد تطرفهم شيئاً.

وأنّهم هدموا القباب والمزارات المباركة المنبئة في أرجاء ذلك الوادي المقدس.

وأنّهم ضيقوا الحرية المذهبية الإسلامية، نشرأ لمذهبهم، وتوسيعاً لنطاق نحلته، في الوقت الذي تقوم فيه جميع حكومات العالم على رعاية الحريات المذهبية.

أصدرت^(٥) أمرها بوقف التصريح بالسفر للحجاز، حماية لرعاياها، وحفظاً لهم من قصد بلاد لم يُعرف تماماً كنه الحكم فيها.
وعادت فأوفدت سعادة ميرزا حبيب الله خان هويدا، قنصلها

(*) هي جريدة «المقطم» في عددها الصادر في ٢٢ شوال سنة ١٣٤٤ هـ.

(٤) أي: القنصل العام.

(٥) جواب «لما» المتقدمة.

الجنرال^(٦) في الشام ثانية، للتحقق من مبلغ صدق تلك الإشاعات، فإذا بها صحيحة في جملتها !

لم تمنع الحكومة الإيرانية رعاياها من السفر إلى الحجاز لأنّ حكومته وهابية فحسب، ولكنّ الإيرانيين أُلِّموا في الحجّ والزيارة شؤوناً يعتقدون أنّها من مستلزمات أداء ذلك الركن، ويشاركهم في ذلك جمهور المسلمين من غير الوهابيين، كزيارة مشاهد أهل البيت، والاستمداد من نفحاتهم، وزيارة مسجد منسوب للإمام عليّ عليه السلام.

وقد قضى الوهابيّ على تلك الآثار جملةً، وقضى رجاله - وكلّ فرد منهم حكومة قائمة - على الحرّية المذهبية.

فَمَنْ قرأ الفاتحة على مشهد من المشاهد، جُلِدَ.
وَمَنْ دَخَنَ سيجارة أو نرجيلة، أُهينَ وَضُرِبَ وَزُجَّ في السجن، في الوقت الذي تحصّل فيه إدارة الجمارك الحجازيّة رسوماً على واردات البلاد من الدخان والتبّاك.

وَمَنْ استنجد بالرسول المجتبي عليه صلوات الله وسلامه بقوله:
(يا رسول الله) عُذَّ مشركاً.

وَمَنْ أقسم بالنبيّ أو بآله، عُذَّ خارجاً عن سياج الملة.
وما حادثة السيّد أحمد الشريف السنوسي^(٧) - وهو علم من

(٦) أي: القنصل العام.

(٧) هو السيّد أحمد الشريف بن محمّد بن محمّد بن عليّ السنوسي (١٢٨٤ - ١٣٥١ هـ) وُلِدَ وتفقّه في «الجغوب» من أعمال ليبيا، قاتل الإيطاليين في حربهم مع الدولة العثمانية سنة ١٣٣٩ هـ، دُعي إلى إسلامبول بعد عقد الصلح بين إيطاليا والعثمانيين، ثمّ رحل منها إلى الحجاز، كان من أنبل الناس جلالة قدر وسراوة حال ورجاحة عقل، وكان على علم غزير،
←

أعلام المسلمين المجاهدين - ببيعة، إذ كان وقوفه وقراءته الفاتحة على ضريح السيِّدة خديجة رضوان الله عليها، سبباً كافياً في نظر الوهابيين لإخراجه من الحجاز.

كلُّ هذا حاصلٌ في الحجاز لا ينكره أحد، ولا يستطيع الوهابيُّ ولا دعاؤه ولا جنوده أن يكذبوه».

إنتهى ما أردنا نقله من تلك الجريدة.

فرايتُ أن أتكلَّم معهم بكلمات وجيزة، جارية في نهج الإنصاف، خالية عن الجور والتعصُّب والاعتساف، سالكاً سبيل الرفق والاعتدال، ناكباً عن طريق الخرق والجدال، فما المقصود إلّا هداية العباد، والله وليُّ الرشاد.

ثمَّ إنَّا نتكلَّم فيما طعن به الوهابيون على سائر المسلمين في ضمن فصول، والله المستعان.

وآجنتبت فيه عن الفحش في المقال، والطعن والوقعة والجدال. هذا، والجرح لمَّا يندمل، وإنَّ القلوب لحرى، والعيون لعبرى، على الرزّة التي عمّت الإسلام والمسلمين، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. ويا لها من رزّة جليلة، ومصيبة فاطمة^(٨) فادحة، وثلمة عظيمة في الإسلام أليمة فجيسة!

كُحِلَتْ بِمِقْطَرِكَ الْعُيُونُ عَمَايَةً

وَأَجَلٌ وَقَعَكَ كُلُّ أُذُنٍ تَسْمَعُ^(٩)

→ وقد صنّف في أوقات فراغه كتباً عديدة.

انظر: الأعلام ١/ ١٣٥.

(٨) كذا في الأصل، ولعلّها: «فاطمة»، والأصوب لغة أن تكون: «فضيلة».

(٩) من قصيدة لدعل الخزاعي، يرثي بها سيّد الشهداء الإمام أبي عبد الله الحسين بن عليّ بن

وعلى الجملة :

فقد هدموا شعائر الدين، وجرحوا قلوبَ المسلمين، بفتوى خمسة عشر، تشهد القرائن بأنهم مجبورون مضطرون على هاتيك الفتيا !

ويشهد نفس السؤال - أيضاً - بذلك، حيث إنَّ السائل يعلمُهم الجواب في ضمن السؤال بقوله: «وإذا كان غير جائز، بل ممنوع منهي عنه نهياً شديداً» !

ويومئ إليه - أيضاً - ما في الجريدة، أنه اجتمع إليهم أولاً، وباحثهم ثانياً، ومن بعد ذلك وجَّه إليهم السؤال المزبور !

ولقد حدَّثني بعض الثقات من أهل العلم - بعد رجوعه من المدينة - عن بعض علمائها، أنه قال: إنَّ الوهابية أوعدونني وعالمين غيري بالقتل والنهب والنفي (على مساعدتهم)^(١٠) في الجواب، فلم نفعل .

هَذِي الْمَنَازِلُ بِالْغَمِيمِ . فَنَادِيهَا

وَأَسْكَبَ سَخِيَّ الْعَيْنِ بَعْدَ جَمَادِيهَا^(١١)

→ أبي طالب عليهم السلام، وقد ورد البيت باختلاف في بعض ألفاظه في الديوان المطبوع ومصادر أخرى هكذا:

كُجِلْتُ بِمَنْظَرِكَ الْغُيُونُ عَمَايَةً وَأَصْمُ نَعْيِكَ كُلُّ أُذُنٍ تَسْمَعُ

انظر: ديوان دُعبل: ٢٢٦، معجم الأدباء ١١/ ١١٠ و ١٢٩/ ٣ وفيه: «رَزْوُكَ» بدل «نَعْيِكَ» ولم يُسمَ قائله هنا، الحماسة البصرية ٢٠١/ ١ .

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: «إنَّ لم نساعدهم» .

(١١) مطلع قصيدة للشريف الرضي، يرثي بها سيّد الشهداء الإمام أبي عبدالله الحسين بن علي

الفصل الأول

في توحيد الله في العبادة

إعلم أنّ من ضروريّات الدين، والمتفق عليه بين جميع طبقات المسلمين، بل من أعظم أركان أصول الدين: اختصاص العبادة بالله ربّ العالمين.

فلا يستحقّها غيره، ولا يجوز إيقاعها لغيره، ومن عبّد غيره فهو كافر مشرك، سواء عبّد الأصنام، أو عبّد أشرف الملائكة، أو أفضل الأنام.

وهذا لا يرتاب فيه أحد ممّن عرف دين الإسلام.

وكيف يرتاب؟! وهو يقرأ في كل يوم عشر مرّات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١٢).

ويقراً: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(١٣).

ويقراً في سورة يوسف: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا

→ ابن أبي طالب عليهم السلام، في يوم عاشوراء سنة ٣٩١ هـ.

انظر: ديوان الشريف الرضي ٣٦٠/١.

(١٢) سورة الفاتحة ١ : ٥.

(١٣) سورة الكافرون ١٠٩ : ١ - ٦.

يَاَهُ ﴿١٤﴾.

ويقراً في سورة النحل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (١٥).
ويقراً في سورة التوبة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٦).

ويقراً في سورة البقرة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٧).

ويقراً في سورة الأعراف: ﴿وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا - إِلَىٰ قَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: - قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ (١٨).

ويقراً في [سورة] الزمر: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (١٩).

ويقراً فيها: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ

(١٤) سورة يوسف ١٢ : ٤٠ .

(١٥) سورة النحل ١٦ : ٣٥ .

(١٦) سورة التوبة ٩ : ٣١ .

(١٧) سورة البقرة ٢ : ١٣٣ .

(١٨) سورة الأعراف ٩ : ٦٥ - ٧٠ .

(١٩) سورة الزمر ٣٩ : ٣ .

مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٠﴾.

ويقرأ فيها: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ ﴿٢١﴾.

ويقرأ في سورة النساء: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ ﴿٢٢﴾.

ويقرأ في سورة هود: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَيَسِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾.

ويقرأ في سورة العنكبوت: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٢٤﴾.

إلى غير ذلك من الآيات الفرقانيّة، والأحاديث المتواترة ﴿٢٥﴾.

لكنّ العبادة - كما هو المفسّر في لسان المفسّرين، وأهل العربيّة، وعلماء الإسلام -: غاية الخضوع؛ كالسجود، والركوع، ووضع الخدّ على التراب والرماد تواضعاً، وأشباه ذلك، كما يفعله عبّاد الأصنام لأصنامهم ﴿٢٦﴾.

(٢٠) سورة الزمر ٣٩: ٦٥ و٦٦.

(٢١) سورة الزمر ٣٩: ١٤.

(٢٢) سورة النساء ٤: ٣٦.

(٢٣) سورة هود ١١: ٢.

(٢٤) سورة العنكبوت ٢٩: ٥٦.

(٢٥) انظر ذلك في تفسير الآيات الكريمة المتقدّمة - على سبيل المثال - وغيرها في مختلف التفاسير، ولاحظ كتاب «التوحيد» للشيخ الصدوق، والكافي ١/ ٥٧ - ١٢٧ كتاب التوحيد.

(٢٦) انظر ذلك - على سبيل المثال - في تفسير آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في: التبيان ٣٧/١ - ٣٩، مجمع البيان ١/ ٢٥ - ٢٦، الصافي ١/ ٧١ - ٧٢، كنز الدقائق ١/ ٥٤ - ٥٦، نور الثقلين ١/ ١٩ - ٢٠، آلاء الرحمن ١/ ٥٦ - ٥٩، البيان: ٤٥٦ - ٤٨٣، الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٤٥، جامع البيان ١/ ١٦٠، الدرّ المنثور ١/ ٣٧، التفسير الكبير

وأما زيارة القبور والتمسّح بها وتقبيلها والتبرّك بها، فليس من ذلك في شيء كما هو واضح، بل ليس فيها شيء من الخضوع فضلاً عن كونها غاية الخضوع.

مع أنّ مطلق الخضوع - كما عرفت - ليس بعبادة، وإلاّ لكان جميع الناس مشركين حتّى الوهابيّين! فإنّهم يخضعون للرؤساء والأُمراء والكبراء بعضُ الخضوع، ويخضع الأبناء للأباء، والخدم للمخدومين، والعبيد للموالي، وكلُّ طبقة من طبقات الناس للتي فوقها، فيخضعون إليهم بعضُ الخضوع، ويتواضعون لهم بعضُ التواضع. هذا، وقد قال الله عزّ من قائل في تعليم الحكمة: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (٢٧).

أترى الله حيس أمر بالخضوع للوالدين أمرَ بعبادتهما؟! ويقول سبحانه: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ . . .﴾ إلى آخرها (٢٨).

أليس هذا خضوعاً وتواضعاً؟!!

أترى الله سبحانه أمرَ بعبادة نبيّه؟!!

أوليس التواضع من الأخلاق الجميلة الزكيّة، وهو متضمّن لشيء من الخضوع لا محالة؟!!

أوترى الله نهى أن يُصنع بأنبيائه وأوليائه نظير ما أمر أن يصنع بسائر المسلمين من التواضع والخضوع؟!!

وقد كان الصحابة يتواضعون للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم،

→ ٢٤٢/١، ومادة (عَبَدَ) في: لسان العرب ٢٧٣/٣.

(٢٧) سورة الإسراء ١٧ : ٢٤ .

(٢٨) سورة الحجرات ٤٩ : ٢ .

ويخضعون له، وذلك من المسلّمات بين أهل السّير والأخبار.

بل روى البخاري في صحيحه:

* «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضّأ، ثمّ صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وبين يديه عنزة. قال شعبة: وزاد فيه عون: عن أبيه، عن أبي جحيفة، قال: كان تمر^(٢٩) من ورائها المرأة.

وقام الناس فجعلوا يأخذون يده^(٣٠) فيمسحون بها وجوههم. قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك^(٣١).

[زيارة القبور:]

وأما الأخبار الدالة على زيارة القبور فنذكر عدّة منها، وإن كان لا حاجة إلى ذكرها لوضوح المسألة، حتّى أنّ الوهابيين - أيضاً - غير مانعين عن أصل الزيارة.

* فروى البخاري عنه صلى الله عليه وآله وسلّم، أنّه «خرج يوماً فصلّى على أهل أحد صلاته على الميّت، ثمّ انصرف إلى المنبر... إلى آخره^(٣٢).

* وروى فيه عن أنس، قال: «مرّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم

(٢٩) في المصدر: يمرّ.

(٣٠) في المصدر: يديه.

(٣١) صحيح البخاري ٢٢٩/٤.

(٣٢) صحيح البخاري ١١٤/٢، سنن أبي داود ٢١٦/٣ ح ٣٢٢٣ إلى كلمة «انصرف».

بأمرأة تبكي عند قبر، فقال: اتقي الله وأصبري . . . إلى آخره^(٣٣) ولم ينهها عن زيارة القبر.

* وروى الدارقطني في السنن وغيرها، والبيهقي، وغيرهما، من طريق موسى بن هلال العبدي، عن عبدالله العمري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من زار قبري وجبت له شفاعتي»^(٣٤).

* وعن نافع، عن سالم، عن ابن عمر، مرفوعاً، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من جاءني زائراً ليس له حاجة إلا زيارتي، كان حقاً علي أن أكون له شافعاً يوم القيامة»^(٣٥).

* وعن ليث ومجاهد، عن [ابن] عمر، مرفوعاً، قال صلى الله عليه وسلم: «من حجّ وزار قبري بعد وفاتي، كان كمن زارني في حياتي»^(٣٦).

(٣٣) صحيح البخاري ٨١/٩ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وفي ٩٣/٢ إلى كلمة «وأصبري» باختلاف يسير في بعض الألفاظ أيضاً، وأنظر: الأنوار في شمائل النبي المختار ٢٠٠/١ ح ٢٣٩ والمصادر الأخرى التي في هامشه.

(٣٤) سنن الدارقطني ٢٧٨/٢ ح ١٩٤، شعب الإيمان ٤٩٠/٣ ح ٤١٥٩، مجمع الزوائد ٢/٤، الصلوات والبشر: ١٤٢، الدر المنثور ١/٥٦٩، كنز العمال ١٥/٦٥١ ح ٤٢٥٨٣، الكنى والأسماء ٦٤/٢، الكامل ٦/٢٣٥٠، وأنظر: الغدير ٥/٩٣-٩٦ ح ١ ومصادره.

(٣٥) ورد الحديث باختلاف يسير في: المعجم الكبير ١٢/٢٩١ ح ١٣٢٤٩، مجمع الزوائد ٢/٤، الصلوات والبشر: ١٤٢، الدر المنثور ١/٥٦٩، كنز العمال ١٢/٢٥٦ ح ٣٤٩٢٨، وأنظر: الغدير ٥/٩٧-٩٨ ح ٢ ومصادره.

(٣٦) سنن الدارقطني ٢٧٨/٢ ح ١٩٢، شعب الإيمان ٤٨٩/٣ ح ٤١٥٤، السنن الكبرى ٢٤٦/٥، المعجم الكبير ١٢/٤٠٦ ح ١٣٤٩٧، الصلوات والبشر: ١٤٣، الدر المنثور ١/٥٦٩، كتر العمال ٥/١٣٥ ح ١٢٣٦٨ و١٥/٦٥١ ح ٤٢٥٨٢، وفيها: «فزار» بدل

* وعن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «مَنْ زَارَنِي كُنْتُ لَهُ شَهِيداً أَوْ شَفِيعاً»^(٣٧).

* وعن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «مَنْ حَجَّ [الْبَيْتَ] وَلَمْ يَزِرْنِي فَقَدْ جَفَانِي»^(٣٨).

* وعن أبي هريرة، مرفوعاً، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي حَيّاً»^(٣٩).

* وعن أنس، مرفوعاً، عن النبي صلى الله عليه وسلم، [قال]: «مَنْ زَارَنِي مَيِّتاً كَمَنْ زَارَنِي حَيّاً، وَمَنْ زَارَ قَبْرِي وَجِبَتْ لَهُ شِفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤٠).

* وعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «مَنْ زَارَنِي فِي مَمَاتِي كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ لَمْ يَزِرْنِي فَقَدْ



وزاره، وأنظر: الغدير ٩٨/٥ - ١٠٠ ح ٣ ومصادره.

(٣٧) ورد الحديث باختلاف يسير في: شعب الإيمان ٤٨٩/٣ ذح ٤١٥٣، كنز العمال ١٣٥/٥ ح ١٢٣٧١، كما ورد مضمونه في: السنن الكبرى ٢٤٥/٥، شعب الإيمان ٤٨٨/٣ ح ٤١٥٢ و ٤٨٩ ح ٤١٥٧، الصلوات والبشر: ١٤٣، الدر المنثور ٥٦٩/١، وأنظر: الغدير ١٠٠/٥ - ١٠١ ح ٥ ومصادره.

(٣٨) الدر المنثور ٥٦٩/١، الصلوات والبشر: ١٤٣، كنز العمال ١٣٥/٥ ح ١٢٣٦٩، الكامل ٢٤٨٠/٧، وأنظر: الغدير ١٠٠/٥ ح ٤ ومصادره.

(٣٩) ورد الحديث باختلاف في سنده وبعض ألفاظه في: مجمع الزوائد ٢/٤، الصلوات والبشر: ١٤٢ و ١٤٣، الدر المنثور ٥٦٩/١، كنز العمال ١٣٥/٥ ح ١٢٣٧٢، المواهب اللدنية ٢٩٨/٨ و ٢٩٩، وأنظر: الغدير ١٠١/٥ - ١٠٢ ح ٦ ومصادره، وقد روي فيها عن حاطب بن أبي بلتعة مرفوعاً، وص ١٠٥ - ١٠٦ ح ١٤ وفيه: عن ابن عمر مرفوعاً.

(٤٠) الصلوات والبشر: ١٤٣، كشف الخفاء ٣٢٨/٢ - ٣٢٩ ح ٢٤٨٩، وأنظر: الغدير ١٠٤/٥ ح ١٠ ومصادره.

جفاني»^(٤١).

إلى غير ذلك من الأحاديث التي يجوزُ مجموعُها حدُّ المتواتر.
* وفي «الموطأ» أنّ ابن عمر كان يقف عند قبر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فيسلّم عليه وعند أبي بكر وعمر^(٤٢).
وسئل نافع: هل كان [ابن] عمر يسلم على قبر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟

فقال: رأيته مائة مرّة أو أكثر يسلم على النبيّ وعلى أبي بكر^(٤٣).
قال عياض: زيارة قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سنةٌ أجمَعَ عليها المسلمون^(٤٤).

* وروى بريدة، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنّي نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»^(٤٥).

* وعن بريدة، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذا خرج إلى المقابر قال: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين».

(٤١) مختصر تاريخ دمشق ٤٠٧/٢، وفاء الوفا ٤/١٣٤٦ - ١٣٤٧ ح ١٤ و١٦، وأنظر: الغدير ١٠٤/٥ - ١٠٥ ح ١٢ ومصادره، وقد روي فيها عن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام مرفوعاً بدلاً من ابن عباس.

(٤٢) «الموطأ» ١٦٦/١ ح ٦٨، شعب الإيمان ٣/٤٩٠ ح ٤١٦١، الدرّ المنثور ١/٥٧٠، وفاء الوفا ٤/١٣٥٨.

(٤٣) حقيقة التوسّل والوسيلة: ١١١، وقال في الهامش: أخرجه الإمام عبد الله بن دينار عن ابن عمر.

(٤٤) شرح الشفا ٣/٥١١، وفاء الوفا ٤/١٣٦٢.

(٤٥) صحيح مسلم ٢/٦٧٢ ح ٩٧٧، سنن النسائي ٨/٣١٠ - ٣١١ وج ٤/٨٩، سنن الترمذي ٣٧٠/٣ ح ١٠٥٤، سنن أبي داود ٣/٢١٨ ح ٣٢٣٥، السنن الكبرى ٤/٧٧، المعجم الكبير ٢/١٩ ح ١١٥٢ و٩٤ ح ١٤١٩، المصنّف ٣/٣٤٢.

رواه مسلم^(٤٦).

* وعن ابن عباس، أَنَّ النَّبِيَّ [كَانَ] يَخْرُجُ إِلَى الْبَقِيعِ آخِرَ اللَّيْلِ
فيقول: «السلام عليكم الخبر»
رواه مسلم^(٤٧).

[التبرُّكُ بالقبور:]

وَأَمَّا التَّبَرُّكُ بِالْقُبُورِ وَتَقْبِيلُهَا وَالتَّمَسُّحُ بِهَا:

فقد نقل عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب «العلل
والسؤالات» قال: سألت أبي عن الرجل يمسّ منبر رسول الله يتبرّك
بمسّه وتقبيله، ويفعل بالقبر ذلك رجاء ثواب الله، فقال: لا بأس
به^(٤٨).

ونقل عن مالك التبرُّك بالقبر^(٤٩).

وروي عن يحيى بن سعيد - شيخ مالك - أنه حينما أراد الخروج
إلى العراق جاء إلى المنبر وتمسّح به^(٥٠).

ونقل السبكي روايةً ليحيى بن الحسن، عن عمر بن خالد، عن
أبي نباتة، عن كثير بن يزيد، عن المطّلب بن عبدالله، قال: أقبل

(٤٦) صحيح مسلم ٦٧١/٢ ح ٩٧٥، وسنن النسائي ٩٤/٤.

(٤٧) صحيح مسلم ٦٦٩/٢ ح ٩٧٤ عن عائشة، وسنن الترمذي ٣٦٩/٣ ح ١٠٥٣ عن ابن
عبّاس.

(٤٨) العلل ومعرفة الرجال ٤٩٢/٢ ح ٣٢٤٣، وعنه في وفاء الوفا ١٤٠٤/٤، وأنظر مؤداه أيضاً
في ص ١٤٠٣.

(٤٩) أنظر مؤداه في وفاء الوفا ١٤٠٧/٤.

(٥٠) وفاء الوفا ١٤٠٣/٤.

مروان بن الحكم وإذا رَجُلٌ ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته وقال: ما تصنع؟!

فقال: إِنِّي لَمْ آتِ الْحَجَرَ وَلَا اللَّبْنَ، إِنَّمَا جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥١).

وذكر رواية أحمد، قال: وكان الرجل أبا أيوب الأنصاري^(٥٢).

* ونقل هذه الرواية أحمد، وزاد فيها أنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: لَا تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلَوْهُ أَهْلُهُ، وَأَبْكُوا عَلَيْهِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ^(٥٣).

وذكر ابن حمّاد أن ابن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر^(٥٤).

ولو رمنا ذكر جميع الأحاديث لخرجنا من حدِّ الاختصار، وفيما ذكر كفاية، فضلاً عن سيرة المسلمين.

وما عرفت من أن تلك الأمور خارجة عن حقيقة العبادة، فإذا لا وجه للمنع عنها وإن لم يكن دليل عليها.

هذا، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٥٥).

(٥١) شفاء السقام عن مسند أحمد ٤/٥٢٢.

(٥٢) شفاء السقام عن مسند أحمد ٤/٥٢٢.

(٥٣) شفاء السقام عن مسند أحمد ٤/٥٢٢، وفاء الوفا ٤/١٣٥٨ - ١٣٥٩.

(٥٤) وفاء الوفا ٤/١٤٠٥.

(٥٥) سورة الحج ٢٢: ٣٢.

الفصل الثاني

في توحيد الله سبحانه في الأفعال

إِعلم أنَّ من ضروريَّات دين الإسلام، والمُجمَع عليه بين جميع الفرق المنتحلة لدين سيّد الأنام، بل ومن أعظم أركان التوحيد: توحيد الله عزّ وجلّ في تدبير العالم، كالخلق والرّزق والإماتة والإحياء، إلى غير ذلك ممّا يرجع إلى تدبير العالم، كتسخير الكواكب، وجعل الليل والنهار، والظلم والأنوار، وإجراء البحار، وإنزال الأمطار، وغير ذلك ممّا لا نحصى ولا نحيط به.

وبالجملة:

لا كلام بين طوائف أهل الإسلام، أنّ المدبّر لهذا النظام، هو الله المَلِكُ العَلَامُ، وحده وحده.

وكيف يرتاب مسلم في ذلك؟! وهو يقرأ في كلّ يوم مراراً من الفرقان العظيم: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(٥٦).

ويقرأ قوله عزّ من قائل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥٧).

(٥٦) سورة الإخلاص ١١٢ : ٢.

(٥٧) سورة الأنعام ٦ : ١٠١.

وقوله سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٥٨).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٥٩).

وقوله عز اسمه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٦٠).

وقوله عظم سلطانه: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾^(٦١).

وقوله جل شأنه: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٦٢).

وقوله عز جبروته: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾^(٦٣).

وقوله جل وعز: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

(٥٨) سورة الأعراف ٧ : ٥٤ .

(٥٩) سورة يونس ١٠ : ٣١ .

(٦٠) سورة التوبة ٧ : ١١٦ .

(٦١) سورة هود ١١ : ٣٢ و ٣٣ .

(٦٢) سورة الرعد ١٣ : ١٦ .

(٦٣) سورة الشعراء ٢٦ : ٧٨ - ٨١ .

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿٦٤﴾ .

وقوله عم إحسانه : ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّن نَّزْلٍ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (٦٥) .

وقوله جلّت قدرته : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (٦٦) .

وقوله تعالى شأنه : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٦٧) .

وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٦٨) .

وقوله تعالى من قائل : ﴿وَأَنِّي إِلَى رَبِّكَ الْمُتَسَهِّلُ * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى * وَأَنَّهُ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْرَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ (٦٩) .

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة .

(٦٤) سورة العنكبوت ٢٩ : ٦١ .

(٦٥) سورة العنكبوت ٢٩ : ٦٣ .

(٦٦) سورة الروم ٣٠ : ٤٠ .

(٦٧) سورة لقمان ٣١ : ١٠ و ١١ .

(٦٨) سورة الزمر ٣٩ : ٦٢ و ٦٣ .

(٦٩) سورة النجم ٥٣ : ٤٢ - ٤٨ .

[التوسّل والاستغاثة والاستشفاع:]

لَكَنَّ التوسّل بغير الله سبحانه، والاستغاثة، والاستشفاع - المعمولة عند المسلمين، في جميع الأزمان، بالنسبة إلى الأنبياء والأولياء - ليس بمعنى التشريك في أفعال الله تعالى .

بل الغرض أن يفعل الله فعله ويقضي الحاجة ببركتهم وشفاعتهم، حيث إنهم مقربون لديه، مكرمون عنده، ولا مانع من أن يكونوا سبباً ووسيلة لجريان فيضه .

هذا، ومن المركز في طباع البشر توسّلهم في حوائجهم التي يطلبونها من العظماء والملوك والأمراء إلى المخصوصين بحضرتهم، ويرون هذا وسيلة لنجح حاجتهم، وليس ذلك تشريفاً لذلك المخصوص مع ذاك الأمير أصلاً .

فلماذا يُعزّل أنبياء الله والأولياء من مثل ما يُصنع بمخصوصي العظماء؟! إن هذا إلّا اختلاق، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٧٠)، فاستثنى، وقال سبحانه: ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^(٧١).

ومما ذكر ظهر أن قول القاضي: «ودعائها مع الله» يعني الضرائح، افتراء على المسلمين من جهتين:

الأولى: دعوى تشريك غير الله معه في الدعاء:

مع أنهم لا يدعون إلّا الله الواحد القهار، ويتوسّلون بأوليائه إليه .

(٧٠) سورة البقرة ٢: ٢٥٥ .

(٧١) سورة الأنبياء ٢١: ٢٨ .

وإن كان المراد أنهم يدعون الله عز وجل لقضاء الحاجات، ويدعون أوليائه ليكونوا شفعاء لديه سبحانه، فاختلفت جهتا الدعوة، فهذا حق وصدق، ولا مانع منه أصلاً.

بل الوهابية ما قدروا الله حق قدره إذ قالوا: لا ضرورة في استنجاح الحاجة عنده إلى شفيع! ولا حسن في ذلك، ويرون ذلك أمراً مرغوباً مطلوباً بالنسبة إلى غيره سبحانه!

فإذا كان لهم حاجة إلى الناس، يتوسلون في نجاحها إلى المقربين لديهم، ولا يرون في ذلك بأساً!

فما بال الله عز وجل يقصر به عما يصنع بعباده؟!

الجهة الثانية: إضافة الدعوة إلى الضرائح:

والحال أنهم لا يدعون الضريح للشفاعة، بل يدعون صاحب الضريح؛ لأنه ذو مكان مكين عند الله وإن كان متوفى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ... ﴿٧٢﴾.

وبالجملة:

فالتوسل وطلب الشفاعة من أولياء الله أمر مرغوب فيه عقلاً وشرعاً، وقد جرت سيرة المسلمين عليه قديماً وحديثاً.

* فعن أنس بن مالك، أنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي وتقطعت

السبل، فادع الله .

فدعا الله ، فمُطِرنا من الجمعة إلى الجمعة .

فجاء رجل إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله ، تهذمت البيوت وتقطّعت السبل وهلكت المواشي .

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : اللهمّ على ظهور الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر .

فأنجابت عن المدينة أنجياب الثوب» .

رواه البخاري في الصحيح^(٧٣) ، وروى عدّة أحاديث في هذا المعنى يشبه بعضها بعضاً^(٧٤) .

* وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الله بن أبي الأسود، [حدّثنا حَرَمِيّ،] حدّثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «قالت أمّي: يا رسول الله، خادمك [أنس]، أدعُ الله له . قال: اللهمّ أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته»^(٧٥) .

* وقال البخاري: حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا حاتم، عن الجعد بن عبد الرحمن، قال: سمعت السائب بن يزيد يقول: «ذهبت بي خالتي إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقالت: يا رسول الله، إنّ ابن أختي وجعٌ .

فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثمّ توضّأ فشربت من وضوئه، ثمّ قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زرّ الحجلة»^(٧٦) .

(٧٣) صحيح البخاري ٣٧/٢ .

(٧٤) صحيح البخاري ٣٤/٢ - ٣٨ .

(٧٥) صحيح البخاري ٩٣/٨ .

(٧٦) صحيح البخاري ٩٤/٨ .

* وروى البيهقي، أنه جاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، استقي لأمتك؛ فسُقوا^(٧٧).

* وروى الطبراني وابن المقرئ وأبو الشيخ، أنهم كانوا جوعاً، فجاؤا إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، الجوع الجوع؛ فأشبعوا^(٧٨).

* ونُقل أن آدم لما اقترب الخطيئة قال: يا ربّي أسألك بحقّ محمد لما غفرت لي.

فقال: يا آدم، كيف عرفته؟

قال: لأنك لما خلقتني نظرتُ إلى العرش فوجدت مكتوباً فيه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ فرأيت اسمه مقروناً مع اسمك، فعرفته أحبّ الخلق إليك.

صحّحه الحاكم^(٧٩).

* وعن عثمان بن حنيف، أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادعُ الله أن يعافيني.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن شئت صبرت فهو خير لك، وإن شئت دعوتُ.

قال: فآدعه.

فأمره أن يتوضأ ويدعو بهذا الدعاء:

«اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، نبي الرحمة،

(٧٧) انظر قريباً منه في وفاء الوفا ٤/ ١٣٧٤.

(٧٨) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٨٠.

(٧٩) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٦١٥ باختلاف يسير، وأنظر: دلائل النبوة - للبيهقي -

٥/ ٤٨٩، ووفاء الوفا ٤/ ١٣٧١ - ١٣٧٢.

يا محمدُ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي لِيَقْضِيَهَا لِي .
اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ .

رواه الترمذي والنسائي^(٨٠)، وصحّحه البيهقي وزاد: فقام وأبصر^(٨١) .

* ونقل الطبراني ، عن عثمان بن حنيف ، أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفّان في حاجة ، فكان لا يلتفت إليه ، فشكا ذلك لابن حنيف ، فقال له : اذهب وتوضّأ وقل : . . . وذكر نحو ما ذكر الضرير .

قال : فصنع ذلك ، فجاء البوّاب فأخذه وأدخله إلى عثمان ، فأمسكه على الطنفسة وقضى حاجته^(٨٢) .

* وفي رواية الحافظ ، عن ابن عبّاس ، أن عمر قال : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَسْقِيكَ بَعَمَ نَبِينَا ، وَنَسْتَشْفَعُ بِشَيْبَتِهِ ؛ فَسُقُوا^(٨٣) .

[الشفاعة:]

وأخبار الشفاعة متواترة :

* روى البخاري ، عن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم أنّه : من سمع الأذان ودعا بكذا حلّت له شفاعتي يوم القيامة^(٨٤) .

(٨٠) سنن الترمذي ٥/٦٩٩ ح ٣٥٧٨ باختلاف يسير ، ورواه النسائي في كتاب «اليوم والليلة» ، وفي سنن ابن ماجه ١/٤٤١ ح ١٣٨٥ باختلاف يسير أيضاً .

(٨١) الدعوات ، وأنظر: وفاء الوفا ٤/١٣٧٢ .

(٨٢) المعجم الكبير ٩/٣٠ - ٣١ ح ٨٣١١ باختلاف يسير ، وأنظر: وفاء الوفا ٤/١٣٧٣ .

(٨٣) دلائل النبوة - للأصبهاني - ٢/٧٢٥ ح ٥١١ باختلاف يسير .

(٨٤) صحيح البخاري ١/١٥٩ باختلاف يسير .

* وروى مسلم، عنه صَلَّى الله عليه وسلّم أنه: ما من ميّت يموت يُصَلِّي عليه أمة من الناس يبلغون مائة، كلّهم يشفعون له، إلّا شُفّعوا فيه^(٨٥).

* وروى الترمذي والدارمي، عنه صَلَّى الله عليه وآله وسلّم أنه: يدخل بشفاعتي رجال من أمتي أكثر من بني تميم^(٨٦).

* وروى الترمذي، عن أنس، أنه قال: سألت النبي صَلَّى الله عليه وسلّم أن يشفع لي يوم القيامة. فقال: أنا فاعل.

قلت: فأين أطلبك؟

قال: أولاً على الصراط.

قلت: فإن لم ألقك.

قال: عند الميزان.

قلت: فإن لم ألقك؟

قال: عند الحوض، فإنني [لا] أخطئ هذه المواضع^(٨٧).

وقد نُقل عن الصحابة، بطرق عديدة، أنّ الصحابة كانوا يلجأون إلى قبر النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلّم، ويندبونه في الاستسقاء ومواقع الشدائد وسائر الأمراض^(٨٨).

ولا يخفى أنّ وفاة المتوسّل به لا تنافي التوسّل أصلاً، فإنّ مكانه

(٨٥) صحيح مسلم ٦٥٤/٢ ح ٩٤٧، باختلاف يسير.

(٨٦) سنن الترمذي ٦٢٦/٤ ح ٢٤٣٨، وسنن الدارمي ٣٢٨/٢، باختلاف يسير فيهما.

(٨٧) سنن الترمذي ٦٢١/٤ - ٦٢٢ ح ٢٤٣٣، الوفا بأحوال المصطفى ٨٢٤/٢ باختلاف

يسير.

(٨٨) انظر: وفاء الوفا ١٣٧٢/٤ - ١٣٨٧.

عند الله لا يزول بالموت، كما هو واضح .

هذا، مع أنهم في الحقيقة أحياء كما ذكر الله عزّ وجلّ في حال الشهداء، فالشهداء إذا كانوا أحياءً فالأنبياء والأولياء أحقّ بذلك .

هذا كلّ مع أنّ الأرواح لا تفنى بالموت، والعبرة بها لا بالأجساد، وإن كان أجساد الأنبياء لا تبلى كما نصّ عليه في الأخبار^(٨٩) .

* وفي خبر النسائي وغيره، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال: إنّ لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلغونني من أمّتي السلام^(٩٠) . والأخبار في هذا الباب كثيرة^(٩١) .

* وأخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» عن سعيد بن المسيّب، قال: لقد كنت في مسجد رسول الله فما يأتي وقت صلاة إلّا سمعت الأذان من القبر^(٩٢) .

* وأخرج سعد في «الطبقات» عن سعيد بن المسيّب، أنّه كان يلزم المسجد أيام الحرّة، فإذا جاء الصبح سمع أذاناً من القبر الشريف^(٩٣) .

* وأخرج زبير بن بكار في «أخبار المدينة» عن سعيد بن المسيّب، قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة من قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أيام الحرّة حتّى عاد الناس^(٩٤) .

(٨٩) سنن ابن ماجه ١/ ٥٢٤ ح ١٦٣٧، وأنظر مؤذاه في وفاء الوفا ٤/ ١٣٥٠ - ١٣٥٦ .

(٩٠) سنن النسائي ٣/ ٤٣، مسند أحمد ١/ ٤٤١، سنن الدارمي ٢/ ٣١٧ .

(٩١) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٤٩ - ١٣٥٤ .

(٩٢) دلائل النبوة - للأصبهاني - ٢/ ٧٢٤ - ٧٢٥ ح ٥١٠ باختلاف يسير .

(٩٣) الطبقات الكبير ٥/ ١٣٢ .

(٩٤) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٥٦ .

* ونقل أبو عبدالله البخاري، أَنَّ الشهداء وسائر المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلّم عليهم عرفوه وردّوا عليه السلام^(٩٥).

* وروى الثعلبي في تفسيره، وابن المغازلي الشافعي الواسطي في «المناقب» أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه لَمَّا حملهم البساط وصلوا إلى موضع أهل الكهف، فقال: سلّموا عليهم، فسَلّموا عليهم، فلم يردّوا، فسَلّم النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته^(٩٦).

* ونقل أبو بكر محمّد بن عبدالله الشافعي، أَنَّ عيسى عليه السلام لَمَّا دفن مريم عليها السلام قال: السلام عليك يا أُمّاه؛ فأجابته من جوف القبر: وعليك السلام حبيبي وقرّة عيني... إلى آخره^(٩٧).

* وروى الحاكم، عن سالم بن أبي حفصة، قال: توفّي أخ لي فوضعت في القبر وسوّيت عليه التراب، ثم وضعت أُذني على لحده فسمعت قائلاً يقول له: مَنْ رُبُّكَ؟ فسمعت أخي يقول بصوت ضعيف: رَبِّي اللهُ... إلى آخره^(٩٨).

والأخبار التي يُستدلُّ بها على الدعوى أكثر من أن تحصى.

(٩٥) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٥١.

(٩٦) مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢٣٢ - ٢٣٣ ح ٢٨٠، وفيه: «عليّ عليه السلام» بدل «النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ».

(٩٧)

(٩٨) المستدرك على الصحيحين

الفصل الثالث

في البناء على القبور

إعلم أنّ البناء على قبور الأنبياء والعباد المصطفّين تعظيمٌ لشعائر الله، وهو من تقوى القلوب، ومن السنن الحسنة .
حيث إنّ احترامَ لصاحب القبر، وباعثٌ على زيارته، وعلى عبادة الله عزّ وجلّ - بالصلاة والقراءة والذكر وغيرها - عنده، وملجأٌ للزائرين والغرباء والمساكين والتالين والمصلّين .
بل هو إعلاء لشأن الدين .

* وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»^(٩٩) .

وقد بُني على مراكد الأنبياء قبل ظهور الإسلام وبعده، فلم ينكره النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولا أحدٌ من الصحابة والخلفاء، كالقباب المبنية على قبر دانيال عليه السلام في شوشتر^(١٠٠)، وهود وصالح ويونس وذي الكفل عليهم السلام، والأنبياء في بيت المقدس وما يليها، كالجبل الذي دُفن فيه موسى عليه السلام، وبلد الخليل مدفن سيّدنا إبراهيم عليه السلام .

(٩٩) ورد الحديث باختلاف يسير في: مسند أحمد ٣٦١/٤، سنن ابن ماجة ٧٤/١ - ٧٥

ح ٢٠٣ - ٢٠٨ باب مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً، مشكل الآثار ٩٤/١ و٩٦ و٤٨١ .

(١٠٠) هي إحدى مدن مقاطعة خوزستان في إيران، ومُعَرَّبُهَا: تُسْتَر؛ انظر: معجم البلدان

٢٩/٢ (تستر) .

بل الحجر المبنّي على قبر إسماعيل عليه السلام وأُمّه رضي الله عنها.

بل أوّل مَنْ بنى حجرة قبر النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلّم باللبن - بعد أن كانت مقوّمه بجريد النخل - عمرُ بن الخطّاب، على ما نصّ عليه السمهودي في كتاب «الوفا»^(١٠١) ثمّ تناوب الخلفاء على تعميرها^(١٠٢).

* وروى البّناي^(١٠٣) واعظ أهل الحجاز، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه الحسين، عن أبيه عليّ، أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قال له: «والله لتُقتلن في أرض العراق وتُدفن بها».

فقلت: يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعمّرها وتعاهدّها؟ فقال: يا أبا الحسن، إنّ الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة [وعرصة من عرصاتّها]، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده، تحنّ إليكم [وتحتمل المذلّة والأذى]، فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقرّباً [منهم] إلى الله تعالى، ومودةً منهم لرسوله [أولئك يا عليّ المخصوصون بشفاعتي، الواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنّة].

يا عليّ، مَنْ عمّر قبوركم وتعاهدّها فكأنّما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس... إلى آخره^(١٠٤).

(١٠١) وفاء الوفا ٢/٤٨١.

(١٠٢) وفاء الوفا ٢/٤٨١ - ٦٤٧.

(١٠٣) في المصدر: التّباني.

(١٠٤) فرحة الغربي: ٧٧، وعنه في بحار الأنوار ١٠٠/١٢٠ ح ٢٢.

ولا يخفى أنّ جعل معمر قبورهم كالمُعِين على بناء بيت المقدس، دالٌّ على أنّ تعظيم مراقدهم تعظيم لشعائر الله سبحانه. ونُقل نحو ذلك - أيضاً - في حديثين معتبرين، نقل أحدهما الوزير السعيد بسندٍ، وثانيهما بسند آخر^(١٠٥).

والسيرة القطعية - من قاطبة المسلمين - المستمرة، والإجماع، يغنيان عن ذكر الأحاديث الدالة على الجواز.

وما أعجب قوول المفتين: «أما البناء على القبور فممنوع إجماعاً»!

فإنّ مذهب الوهابية - وهم فئة قليلة بالنسبة إلى سائر المسلمين - لم يظهر إلّا قريباً من قرن واحد، ولا يتفوّه أحد من المسلمين - سوى الوهابية - بحرمة البناء، فأين الإجماع المدّعى؟!

ودعوى ورود الأحاديث الصحيحة على المنع - لو ثبت - غير مُجِدِّ لإثبات الحرمة؛ لأنّ أخبار الآحاد لا تنهص لدفع السيرة والإجماع القطعي، مع أنّ أصل الدعوى ممنوع جداً.

فإنّ مثل رواية جابر: «نهى رسول الله أن تُجَصَّص القبور، وأن يُكْتَب عليها، وأن يُبْنَى عليها، وأن توطأ»^(١٠٦) لا تدلّ على التحريم؛ لعدم حرمة الكتابة على القبور ووطئها، فذلك من أقوى القرائن على أنّ النهي في الرواية غير دالٍّ على الحرمة، ولا نمنع الكراهة في غير قبور مخصوصة.

مع أنّ الظاهر من قوله: «يُبْنَى عليها» إحداث بناء كالجدار على

(١٠٥) فرحة الغري: ٧٨، وعنه في بحار الأنوار ١٢١/١٠٠ ح ٢٣ و٢٤.

(١٠٦) سنن الترمذي ٣/٣٦٨ ح ١٠٥٢.

نفس القبر، فإنَّ بناء القَبَّة وجدرانها بعيدة عن القبر، ليس بناءً على القبر على الحقيقة، وإنَّما هو نوع من المجاز، وحمل اللفظ على الحقيقة حيث لا صارف عنها معيَّن، مع أنَّ النهي عن الوطء يؤكِّد هذا المعنى، لا الذي فهموه من الرواية.

وأما الاستدلال على وجوب هدم القباب بحديث أبي الهيثاج، فغير تامٍّ في نفسه - مع قطع النظر عن مخالفته للإجماع والسيرة - لوجه:

* الأول: إنَّ الحديث مضطرب المتن والسند.

فتارة يذكر عن أبي الهيثاج أنَّه قال: «قال لي عليٌّ» كما في رواية أحمد عن عبد الرحمن.

وتارة يذكر عن أبي وائل، أنَّ عليًّا قال لأبي الهيثاج.

ورواه عبدالله بن أحمد في «مسند عليٍّ» هكذا: «لأبعثنَّك فيما بعثني فيه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، أنَّ أسوي كلَّ قبر، وأنَّ أطمس كلَّ صنم»^(١٠٧).

فالاضطراب المزبور يسقطه عن الحجَّة والاعتبار.

* الثاني: إنَّه من الواضح أنَّ المأمور به في الرواية لم يكن هدم جميع قبور العالم، بل الحديث وارد في بعث خاصٍّ وواقعة مخصوصة، فلعلَّ البعث قد كان إلى قبور المشركين لطمس آثار الجاهلية، كما يؤيِّده ذكر الصنم، أو إلى غيرها ممَّا لا نعرف وجه مصلحتها، فكيف يُتمسَّك بمثل هذه الرواية لقبور الأنبياء والأولياء؟! قال بعض علماء الشيعة من المعاصرين:

إنَّ المقصود من تلك القبور، التي أمرَ عليٌّ عليه السلام بتسويتها، ليست هي إلّا تلك القبور التي كانت تُتخذ قِبلةً عند بعض أهل الملل الباطلة، وتقام عليها صور الموتى وتمثيلهم، فيعبدونها من دون الله .

إلى أن قال :

وليت شعري لو كان المقصود من القبور - التي أمرَ عليٌّ عليه السلام بتسويتها - هي عامّة القبور على الإطلاق، فأين كان عليه السلام - وهو الحاكم المطلق يؤمّذ - عن قبور الأنبياء التي كانت مشيئةً على عهده؟! ولا تزال مشيئةً إلى اليوم في فلسطين وسورية والعراق وإيران، ولو شاء تسويتها لقضى عليها بأقصر وقت .

فهل ترى أنّ عليّاً عليه السلام يأمر أبا الهيثاج بالحقّ وهو يروغ عنه فلا يفعله؟! (١٠٨)

إنتهى ما أردنا نقله منه .

* الثالث : قال بعض المعاصرين من أهل العلم :

لا يخفى من اللغة والعُرف أنّ تسوية الشيء من دون ذكر القرين المساوي معه، إنّما هو جعلُ الشيء متساوياً في نفسه، فليس لتسوية القبر في الحديث معنى إلّا جعله متساوياً في نفسه، وما ذلك إلّا جعلُ سطحه متساوياً .

ولو كان المراد تسوية القبر مع الأرض، لكان الواجب في صحيح الكلام أن يقال : إلّا سَوّيته مع الأرض .

فإنّ التسوية بين الشيئين المتغايرين لا بُدّ فيها من أن يُذكر

الشيئان اللذان تُراد مُساواتهما.

وهذا ظاهر لكلّ من يعطي الكلام حقّه من النظر، فلا دلالة في الحديث إلّا على أحد أمرين:

أولهما: تسطيح القبور وجعلها متساوية برفع سنامها، ولا نظر في الحديث إلى علوّها، ولا تشبُّث فيه بلفظ (المشرف) فإنّ الشُرْف إنّ ذُكِرَ أنّه بمعنى العلوّ، فقد ذُكِرَ أنّه من البعير سنامُه، كما في القاموس وغيره^(١٠٩)، فيكون معنى (المشرف) في الحديث هو: القبر ذو السنام، ومعنى تسويته: هدم سنامه.

وثانيهما: أنّ يكون المراد: القبور التي يجعل لها شُرْف من جوانب سطحها، والمراد من تسويته أن تُهدم شُرْفُه ويُجعل مسطحاً أجْم، كما في حديث ابن عبّاس: أمرنا أن نبني المدائن شُرْفاً والمساجد جمّاً^(١١٠).

وعلى كلّ حال، فلا يمكن في اللغة والاستعمال أن يُراد من التسوية في الحديث أن يُساوى القبرُ مع الأرض، بل لا بُدّ أن يُراد منه أحد المعنيين المذكورين.

وأيضاً: كيف يكون المراد مساواة القبر مع الأرض، مع أنّ سيرة المسلمين المتسلسلة على رفع القبور عن الأرض؟! وفي آخر كتاب الجنائز من جلمع البخاري، مسنداً عن سفيان الثّمّار، أنّه رأى قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مسنّماً^(١١١).

(١٠٩) انظر مادة (شرف) في: القاموس المحيط ١٥٧/٣، تهذيب اللغة ٣٤١/١١، لسان العرب ١٧١/٩.

(١١٠) غريب الحديث ٢٢٥/٤، الفائق ٢٣٤/١، لسان العرب ١٧١/٩.

(١١١) صحيح البخاري ١٢٨/٢.

وأُسند أبو داود في كتاب الجنائز عن القاسم، قال: دخلت على عائشة فقلت: يا أمه، اكشفي لي عن قبر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وصاحبيه؛ فكشفت عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة^(١١٣).
وأُسند ابن جرير، عن الشعبي، أن كلَّ قبور الشهداء مسنمة^(١١٣).

إنتهى ما أردنا نقله منه^(١١٤).

وأقول بعد ذلك: لو كان قوله: «مشفراً» بمعنى عالياً، فليس يعمّ كلَّ قبر ارتفع عن الأرض ولو بمقدار قليل، فإنه لا يصدق عليه القبر العالي، فإنَّ العلوّ في كلِّ قبر إنما هو بالإضافة إلى سائر القبور، فلا يبعد أن يكون أمراً بتسوية القبور العالية فوق القدر المتعارف المعهود في ذلك الزمان إلى حدّ المتعارف، وقد أفتى جمع من العلماء بكراهة رفع القبر أزيد من أربع أصابع^(١١٥).
ولتخصيص الكراهة - لو ثبت - بغير قبور الأنبياء والمصطفين من الأولياء وجه.

* الرابع: لو سلّم أيّ دلالة في الرواية، فلا ربط لها ببناء السقوف والقباب ووجوب هدمها، كما هو واضح.
وأما قول السائل: «وإذا كان البناء في مسبلة - كالبقيع - وهو مانع . . . إلى آخره».

فقد أجاب بعض المعاصرين عنه بما حاصله: .

(١١٢) سنن أبي داود ٢١٥/٣ ح ٣٢٢٠.

(١١٣) كنز العمال ٧٣٦/١٥ ح ٤٢٩٣٢.

(١١٤)

(١١٥) متهمي المطلب ١/٤٦٢.

أَنَّ أرض البقيع ليست وقفاً، بل هي باقية على إباحتها الأصلية، ولو شككنا في وقفيتها يكفيننا استصحاب إباحتها^(١١٦).

وأقول: بل وقفيتها غير مانع عن البناء؛ لأنها موقوفة مقبرة على جميع الشؤون المرعية في المقابر، ومنها: البناء على قبور أشخاص مخصوصين كالأصفياء، فإن البناء على القبور ليس أمراً حديثاً، بل كان أمراً متعارفاً من قديم الأيام^(١١٧).

(١١٦)

(١١٧) ومما أفاد به سماحة العلامة المحقق السيد محمد رضا الحسيني الجلاي، دام بقاءه، هذا التعليق:

أقول: والتمسك بوقفية الأرض، يزاحمه: أَنَّ الأبنية المضروبة، والسقوف المرفوعة، هي أيضاً داخله في الموقوفات المسبلة الموضوعة لصالح الوقف، كالجدران المانعة عن دخول الحيوانات، والأبواب لمنع العابثين، فهي كلها قد وقفت لصالح القبور والداخلين للاستظلال والجلوس وغير ذلك من الأعمال المباحة، فما هو المجوز للتعدي عليها بالهدم ومخالفة المصالح الموقوف لأجلها.

كما ناقض الوهابيون أنفسهم بوضع الجدران والشبابيك والأبواب والمدخل، للبقيع، أليس ذلك استصلاحاً؟! لكنه موصل لهم إلى أغراضهم الفاسدة، وطبقاً لفتاواهم المزيفة ودعاواهم الباطلة!

الفصل الرابع

في الصلاة عند القبور، وإيقاد السُرُج عليها

[الصلاة عند القبور:]

وقد جرت سيرة المسلمين - السيرة المستمرة - على جواز ذلك .
وأما حديث ابن عباس : «لعن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم
زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُرُج»^(١١٨) فالظاهر
والمتبادر - من اتّخاذ المسجد على القبر - : السجود على نفس القبر،
وهذا غير الصلاة عند القبر .

هذا لو حملنا المساجد على المعنى اللغوي .
ولو حملناه على المعنى الاصطلاحي ، فالمذموم اتّخاذ المسجد
عند القبور، لا مجرد إيقاع الصلاة ، كما هو المتعارف بين المسلمين ،
فإنّهم لا يتخذون المساجد على المراقد ، فإنّ اتّخاذ المسجد ينافي
الغرض في إعداد ما حول القبر إعانة للزوّار على الجلوس لتلاوة القرآن
وذكر الله والدعاء والاستغفار، بل يُصَلُّون عندها، كما يأتون بسائر
العبادات هنالك .

هَذَا، مع أنّ اللعن غير دالٍّ على الحرمة، بل يجامع الكراهة
أيضاً .

[إيقاد السُّرُج :]

وأما إيقاد السُّرُج، فإنَّ الروايةَ لا تدلُّ إلَّا على ذمِّ الإسراج لمجرد إضاءة القبر، وأما الإسراج لإعانة الزائرين على التلاوة والصلاة والزيارة وغيرها، فلا دلالة في الرواية على ذمه .

وإن شئت توضيح ذلك فأرجع إلى هذا المثل :
إنَّك لو أضعت شيئاً عند قبر، فأسرجت هنالك لطلب ضالَّتكَ،
فهل في تلك الرواية دلالة على ذمِّ هذا العمل ؟!
فكذلك ما ذكرناه .

هذا، مع ما عرفت أنَّ اللعنَ - حقيقةً - هو البعدُ من الرحمة، ولا يستلزم الحرمة، فإنَّ عمل المكروه - أيضاً - مبعَّدٌ من الله، كما أنَّ فعل المستحبِّ مقربٌ إليه عزَّ وجلَّ .

هذا. وذكر بعض العلماء في الجواب: أنَّ المقصود من النهي عن اتِّخاذ القبور مساجد، أن لا تُتخذ قبلةً يُصلَّى إليها باستقبال أيِّ جهة منها، كما كان يفعل بعض أهل الملل الباطلة .

ومما يدلُّ عليه ما رواه مسلم في «الصحيح»: عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: إنَّ أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة^(١١٩) .

وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: لُعِنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ^(١٢٠) .

(١١٩) صحيح مسلم ١/٣٧٦ ح ٥٢٨ .

(١٢٠) مسند أحمد ٢/٢٨٥ .

فإنّه من المعلوم لدى الخبراء بتقاليد أولئك المبطلين، أنّهم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد على الوجه المذكور، وذلك بجعل ما برز من أثر القبر قبلةً، وما دار حوله من الأرض مصلًى، ولذلك قالت أمّ المؤمنين عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنّه خشى أن يتخذ مسجداً^(١٢١).

فلو كان اتّخاذه مسجداً على معنى إيقاع الصلاة عنده - وإن كان التوجّه بها إلى الكعبة - لما كان الإبراز سبباً لحصول الخشية، فإنّ الصلاة - كذلك - غير موقوفة على أن يكون للقبر أثر بارز، وإنّما الذي يتوقّف على بروز الأثر هو: الصلاة إليه نفسه.

إنتهى.

ثمّ استشهد بكلام النووي في شرح صحيح مسلم، قال:

«قال العلماء: إنّما نهى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن اتّخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من الافتتان به، فربما أدّى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين كثر المسلمون، وامتدّت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمّهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة - رضي الله عنها - بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله، لئلاّ يظهر في المسجد فيصلّي إليه العوامّ ويؤدّي إلى المحذور.

ثمّ بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرّفوهما حتّى آلتقيا، حتّى لا يتمكّن أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث: (ولولا

ذلك لأبرز قبره، غير إنه خشي أن يتخذ مسجداً) والله العالم بالصواب^(١٢٢).

إنتهى .

ثم استظهر العالم المومني إليه أن يكون الإسراج المنهي عنه :
إما الإسراج على قبور أولئك المبطلين الذين كانوا يتخذونها
قبلة، كما ربما يشهد بذلك سياق الحديث المومني إليه .
أو الإسراج الذي يتخذه بعض جهلة المسلمين على مقابر
موتاهم في ليالٍ مخصوصة، لأجل إقامة المناجاة عليها والنوح على
أهلها بالباطل .

الفصل الخامس

في الذبائح والنذور

إعلم أنّ من المسائل المسلّمة الواضحة الضرورية عند طوائف المسلمين: اختصاص الذبح والتقربّ بالقربان به سبحانه، فلا يصحّ الذبح إلّا لله.

وهكذا أمر النذر، فمن المؤكّد المتفق عليه بين طوائف المسلمين أنّ النذر لا يصحّ إلّا لله، ولذا يُذكر في صيغته: **لِلّهِ عَلَيَّ** كذا.

أمّا الذبح عن الأموات، فلا بُدّ أن يكون لله وحده وإن كان عن الميت، وكم بين الذبح عن الميت والذبح له، والممنوع هو الثاني لا الأوّل.

قال بعض العلماء - رحمه الله - في «المنهج»^(١٢٣): **وَأَمَّا مَنْ ذَبَحَ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ، لِيَصِلَ الثَّوَابُ إِلَيْهِمْ - كَمَا نَقَرَأُ الْقُرْآنَ وَنَهْدِي إِلَيْهِمْ، وَنُصَلِّيَ لَهُمْ، وَنَدْعُو لَهُمْ، وَنَفْعَلُ جَمِيعَ الْخَيْرَاتِ عَنْهُمْ - فَفِي ذَلِكَ أَجْرٌ عَظِيمٌ.**

وليس قصد أحدٍ من الذابحين للأنبياء أو لغير الله سوى ذلك. أمّا العارفون منهم فلا كلام، وأمّا الجهال فهم على نحو عرفائهم.

(١٢٣) ورد مضمونه في: منهج الرشاد: ١٦٠.

وقد روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَبَحَ بِيَدِهِ وَقَالَ:
اللَّهُمَّ هَذَا عَنِّي وَعَنْ مَنْ لَمْ يُضَحَّ مِنْ أُمَّتِي .

رواه أحمد وأبو داود والترمذي^(١٢٤) . . . إلى آخره .

وقال بعض المعاصرين :

أَمَّا التَّقَرُّبُ إِلَى الضَّرَائِعِ بِالنَّذُورِ وَدَعَاءِ أَهْلِهَا مَعَ اللَّهِ ، فَلَا نَعْهَدُ
وَاحِدًا مِنْ أَوْبَاشِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا يَنْذُرُونَ لِلَّهِ
بِالنَّذْرِ الْمَشْرُوعِ ، فَيَجْعَلُونَ الْمَنْذُورَ فِي سَبِيلِ إِعَانَةِ الزَّائِرِينَ عَلَى الْبَرِّ ،
أَوْ لِلْإِنْفَاقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَحَاجِيحِ ، لِإِهْدَاءِ ثَوَابِهِ لِصَاحِبِ الْقَبْرِ ، لَكُونَهُ
مِنْ أَهْلِ الْكِرَامَةِ فِي الدِّينِ وَالْقُرْبَى . . . إلى آخره .

* * *

وهذا أَوَانُ اخْتِمَامِ الرِّسَالَةِ ، وَأَرْجُو أَنْ يَنْفَعَ اللَّهُ بِهَا ، إِنَّهُ هُوَ
الْمُتَّفَضِّلُ الْمَنَّانُ .

وقد حصل الفراغ منه بيد مؤلفه الفقير إلى الله :

عبدالله ، أحد طلبة العراق ،

في ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول ،

سنة خمس وأربعين بعد ألف وثلاثمائة هجرية .

والحمد لله ربّ العالمين .

(١٢٤) مسند أحمد ٣/٣٥٦ ، سنن أبي داود ٣/٩٩ ح ٢٨١٠ وليس فيه : «اللَّهُمَّ» ،

ونحوه في سنن الترمذي ٤/٩١ ح ١٥٠٥ .

مصادر المقدّمة والتحقيق

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن، للشيخ محمّد جواد البلاغي (١٢٨٢) - ١٣٥٢ هـ) الطبعة الثانية (مصور) مكتبة الوجداني، قم .
- ٣ - الأعلام، لخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦ هـ) الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤ م .
- ٤ - أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين العاملي، تحقيق: السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤٠٦ هـ .
- ٥ - الأنوار في شمائل النبي المختار، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق الشيخ إبراهيم اليعقوبي، الطبعة الأولى، دار الضياء، بيروت ١٤٠٩ هـ .
- ٦ - بحار الأنوار، للشيخ محمّد باقر المجلسي (ت ١١١٠ هـ) الطبعة الثانية، مؤسّسة الوفاء، بيروت ١٤٠٣ هـ .
- ٧ - البلاغي: التجربة الرمزية في التفسير (١)، لعلّي الكعبي، مقال منشور في مجلّة رسالة القرآن - قم، العدد ١٠ / ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ، ص ٧١ - ١٠٤ .
- ٨ - البيان في تفسير القرآن، للسيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (١٣١٧ - ١٤١٣ هـ) المطبعة العلمية (مصور على طبعة النجف الأشرف) قم ١٤٠٠ هـ .
- ٩ - التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- ١٠ - التفسير الكبير، للفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) الطبعة الثالثة .
- ١١ - تهذيب اللغة، لمحمّد بن أحمد الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، للمؤسّسة المصرية العامة، القاهرة ١٣٨٤ هـ .
- ١٢ - التوحيد، للشيخ أبي جعفر محمّد بن عليّ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) تصحيح السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم (مصور على طبعة مكتبة الصدوق، طهران ١٣٩٨ هـ) .

١٣ - جامع البيان، لمحمد بن جرير الطبري، الطبعة الثانية (مصور على طبعة بولاق ١٣٢٣ هـ) دار المعرفة، بيروت ١٣٩٢ هـ.

١٤ - الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) الطبعة الثانية (مصور) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥ - حقيقة التوسل والوسيلة، لموسى محمد علي، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٦ - الحماسة البصرية، لصدر الدين علي بن الحسن البصري، تحقيق مختار الدين أحمد، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣ هـ.

١٧ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ.

١٨ - دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) تحقيق محمد رؤاس قلعجي، الطبعة الأولى، دار ابن كثير/ بيروت ومكتبة التراث الإسلامي/ حلب، ١٣٩٠ هـ.

١٩ - دلائل النبوة، لأحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) تحقيق عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥ هـ.

٢٠ - ديوان دعبل بن علي الخزاعي، تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٩ م.

٢١ - ديوان السيد رضا الموسوي الهندي، جمع السيد موسى الموسوي، دار الكتاب الإسلامي، قم (مصور).

٢٢ - ديوان الشريف الرضي، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران ١٤٠٦ هـ (مصور).

٢٣ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للشيخ آقا بزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ) الطبعة الثالثة (مصورة) دار الأضواء، بيروت ١٤٠٣ هـ.

٢٤ - ريحانة الأدب، لمحمد علي التبريزي المدرّس، الطبعة الثانية، چاپخانه شرکت سهامی طبع کتاب، إيران ١٣٣٥ هـ. ش.

٢٥ - سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد فؤاد

عبد الباقي، دار الفكر.

٢٦ - سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد مجبي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٢٧ - سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لمحمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ - ٢٩٧ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨ - سنن الدارقطني، لعلي بن عمر الدارقطني (٣٠٦ - ٣٨٥ هـ) تحقيق السيد

عبدالله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت (مصور على طبعة دار المحاسن بالقاهرة).

٢٩ - سنن الدارمي، لعبدالله بن عبد الرحمن الدارمي (١٨١ - ٢٥٥ هـ) دار الفكر،

القاهرة ١٣٩٨ هـ.

٣٠ - السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) دار المعرفة،

بيروت.

٣١ - سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النسائي (٢١٥ - ٣٠٣ هـ) الطبعة الأولى،

بيروت ١٣٤٨ هـ.

٣٢ - شرح الشفا (نسيم الرياض)، لأحمد شهاب الدين الخفاجي المصري، دار

الفكر.

٣٣ - شرح المواهب اللدنية، المواهب للقسطلاني والشرح للزرقاني المالكي،

وبهامشه «زاد المعاد» لابن القيم، دار المعرفة، بيروت ١٤١٤ هـ.

٣٤ - شرح النووي على صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧ هـ.

٣٥ - شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) الطبعة الأولى،

دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠ هـ.

٣٦ - شعراء الغري، لعلي الخاقاني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم

١٤٠٨ هـ (مصور على طبعة النجف الأشرف).

٣٧ - الصافي (تفسير...)، للشيخ محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)

تصحيح الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٣٩٩ هـ.

٣٨ - صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل الجعفي البخاري (١٩٤ - ٢٥٦ هـ)

تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩ - صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨ هـ.

٤٠ - الصلوات والبشر في الصلاة على خير البشر، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) تحقيق إبراهيم إسماعيل آل عصر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥ هـ.

٤١ - الطبقات الكبير، لمحمد بن سعد (١٦٨ - ٢٣٠ هـ) دار صادر، بيروت ١٤٠٥ هـ.

٤٢ - العلل ومعرفة الرجال، لأحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) تحقيق وصي الله محمد عباس، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي / بيروت ودار الخاني / الرياض، ١٤٠٨ هـ.

٤٣ - علماء معاصرين، للملا علي الواعظ الخياباني التبريزي، طبعة حجرية، إيران ١٣٦٦ هـ.

٤٤ - الغدير، للشيخ عبد الحسين أحمد الأميني، الطبعة الرابعة، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة، طهران ١٣٩٦ هـ.

٤٥ - غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٦ هـ (مصور على طبعة حيدرآباد الدكن بالهند).

٤٦ - الفائق في غريب الحديث، لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت.

٤٧ - فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام، للسيد عبد الكريم ابن طاووس الحلي (ت ٦٩٣ هـ) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

٤٨ - القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) دار الفكر، بيروت ١٤٠٣ هـ.

٤٩ - الكافي، لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت ٣٢٩ هـ) تصحيح الشيخ نجم الدين الأملي، المكتبة الإسلامية، طهران ١٣٨٨ هـ.

٥٠ - الكامل في الضعفاء، لعبدالله بن عدي الجرجاني، الطبعة الثانية، دار الفكر،

بيروت ١٤٠٥ هـ.

- ٥١ - كشف الارتباب في أتباع محمّد بن عبد الوهاب، للسيد محسن الأمين العاملي، مكتبة اليمن الكبرى (مصور على الطبعة الأولى سنة ١٣٤٧ هـ).
- ٥٢ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس، لإسماعيل بن محمّد العجلوني (ت ١١٦٢ هـ) تصحيح أحمد القلاش، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥ هـ.
- ٥٣ - كنز الدقائق (تفسير)، للميرزا محمّد بن محمّد رضا المشهدي القمي (ت ١١٢٥ هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم ١٤١١ هـ.
- ٥٤ - كنز العمّال، لعليّ بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ) تصحيح صفوة السقا، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥ هـ.
- ٥٥ - الكنى والأسماء، لأحمد بن حمّاد الدولابي (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) الطبعة الثانية (مصورة على طبعة حيدرآباد الدكن بالهند سنة ١٣٢٢ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣ هـ.
- ٥٦ - الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ) مطبعة العرفان، صيدا ١٣٥٨ هـ.
- ٥٧ - لسان العرب، لابن منظور المصري، أدب الحوزة، قم ١٤٠٥ هـ (مصور).
- ٥٨ - ماضي النجف وحاضرها، للشيخ جعفر باقر آل محبوبة، الطبعة الثانية (مصورة على طبعة النجف الأشرف) دار الأضواء، بيروت ١٤٠٦ هـ.
- ٥٩ - مجمع البيان في تفسير القرآن، للشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ١٤٠٣ هـ (مصور على طبعة مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٣٣ هـ).
- ٦٠ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعليّ بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٦١ - مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، لابن منظور محمّد بن مكرم (٦٣٠ - ٧١١ هـ) تحقيق رياض عبد الحميد مراد وروحية النحاس ومحمّد مطيع الحافظ، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق ١٤٠٤ هـ.

٦٢ - المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) دار الفكر، بيروت ١٣٩٨ هـ.

٦٣ - مسند أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت.

٦٤ - مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي، دار صادر، بيروت (مصور على طبعة حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٣٣ هـ).

٦٥ - المصنف، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦ - ٢١١ هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، المجلس العلمي، بيروت ١٣٩٠ هـ.

٦٦ - معارف الرجال، للشيخ محمد حرز الدين، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطبعة الولاية، قم ١٤٠٥ هـ (مصور).

٦٧ - معجم الأدباء، لياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) الطبعة الثالثة، دار الفكر، ١٤٠٠ هـ.

٦٨ - معجم البلدان، لياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩ هـ.

٦٩ - المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي (مصور على الطبعة الثانية لمكتبة ابن تيمية بالقاهرة سنة ١٣٩٧ هـ).

٧٠ - معجم ما أئفه علماء الأمة الإسلامية للرد على خرافات الدعوة الوهابية، للسيد عبدالله محمد علي، مقال منشور في مجلة تراثنا - قم، العدد ١٧ / شوال ١٤٠٩ هـ، ص ١٤٦ - ١٧٨.

٧١ - معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف إيلان سركيس، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ١٤١٠ هـ (مصور).

٧٢ - معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي.

٧٣ - معجم المؤلفين العراقيين، لكوركيس عواد، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٩ م.

٧٤ - مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لابن المغازلي علي بن محمد الشافعي، تحقيق محمد باقر البهودي، دار الأضواء، بيروت ٢٤٠٣ هـ (مصور على طبعة المكتبة الإسلامية بطهران سنة ١٣٩٤ هـ).

- ٧٥ - متنهى المطلب في تحقيق المذهب، للعلامة الحلّي أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦ هـ) طبعة حجرية، إيران.
- ٧٦ - منهج الرشاد لمن أراد السداد، للشيخ جعفر بن خضر الجناحي النجفي (١١٥٦ - ١٢٢٨ هـ) تحقيق السيّد مهدي الرجائي، الطبعة الأولى، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم ١٤١٤ هـ.
- ٧٧ - الموطأ، لمالك بن أنس، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (مصور).
- ٧٨ - نجوم أمت: آية الله العظمى الشيخ محمّد جواد البلاغي، للشيخ ناصر الدين الأنصاري القمي، مقال منشور في مجلّة نور علم - قم، العدد ٤١ / مهر وآبان ١٣٧٠ هـ. ش، ص ٤٤ - ٧٠.
- ٧٩ - نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة)، للشيخ آقا بزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ) الطبعة الثانية (مصورة) دار المرتضى، مشهد ١٤٠٤ هـ.
- ٨٠ - نور الثقلين (تفسير...)، للشيخ عبد عليّ بن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢ هـ) تصحيح السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، الطبعة الثانية، المطبعة العلمية، قم.
- ٨١ - الهدى إلى دين المصطفى، للشيخ محمّد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢ هـ) دار الكتب الإسلامية، قم (مصور على الطبعة الثانية).
- ٨٢ - الوفا بأحوال المصطفى، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت (مصور على الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٣٨٦ هـ).
- ٨٣ - وفاء الوفا، لعليّ بن أحمد المصري السمهودي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٤ هـ (مصور).